الصداقات التي تتعمق

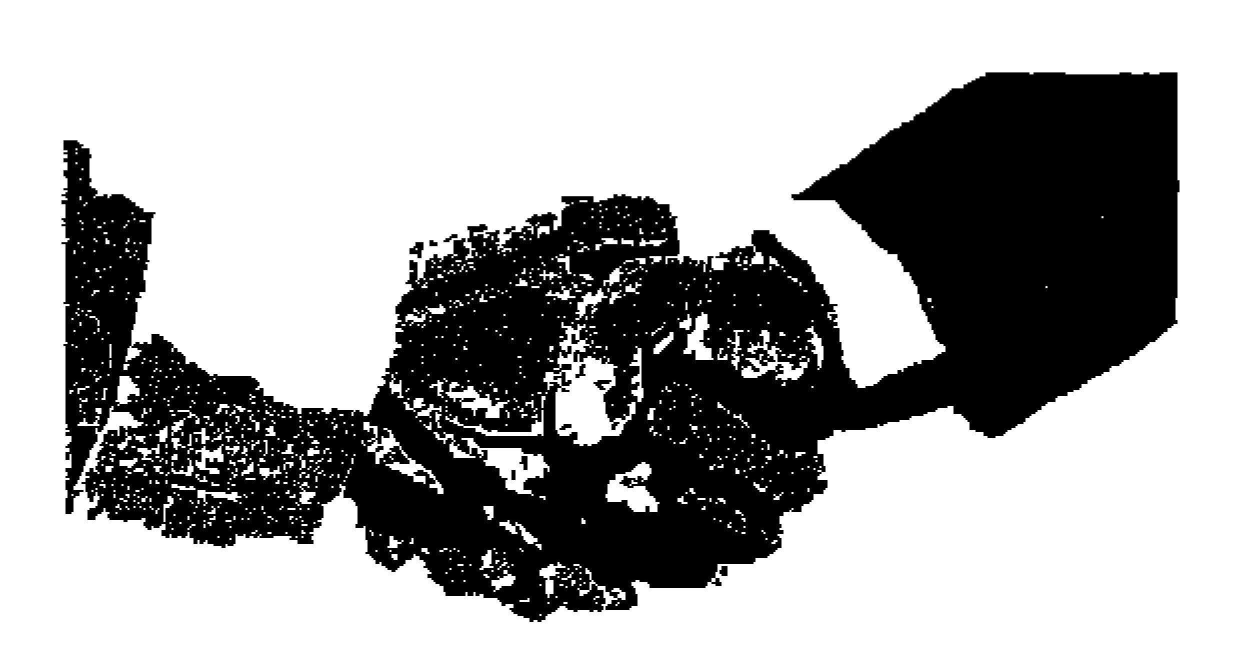
سبعة أساليب لبناء علاقات تدوم

بقلم: كيث ر. أندرسون



الصداقات التي تتعمق

سبع طرق لبناء علاقات تدوم



كيث ر. أندرسون

ترجمة

داليا وهيب



دار الثقافة

" *Friendships That Run Deep* "
Originally Published by InterVarsity press as
"***Friendships That Run Deep*** " By Keith
R. Anderson. ©1997. Translated
and Printed by permission of InterVarsity press, P.O. Box
1400, Downers Grove, IL 60515, USA.

طبعة أولى

الصداقات التى تتعمق
صدر عن دار الثقافة - ص.ب ١٢٩٨- القاهرة

١٠/ ٨٧٣ ط١/١-١/ ٢٠٠١
رقم الإيداع بدار الكتب: ١٣٢٤٩/ ٢٠٠١
I.S.B.N. 977 - 213 - 570 - 1
جمـع وطبـع : **بمطبعة سيوبرس**
تصميم الغلاف: **إخلاص مطر**

إلى أبي

في عامه الثمانين

من أجل حياة مليئة بالحكمة والاستقامة

مقدمة الدار

يجتاز الإنسان المعاصر مرحلة تغيرات شاملة في كل جوانب حياته المعيشية نتيجة للتقدم الرهيب في العلوم والاكتشافات ووسائل الاتصال، وهذا شجع الإنسان على الانعزالية الفردية والاستقلالية إلى حد كبير، مما أضعف الصلات الإنسانية والروابط الروحية والعاطفية بالآخرين.

ولكن في وسط هذا المناخ الجديد لحياة الإنسان، هل استطاع البشر أن يعيشوا ويتمتعوا وجدانياً وعاطفياً..؟ هذا ما سيوضحه هذا الكتاب "الصداقات التي تتعمق".

ويسر دار الثقافة أن تقدم لكم هذا الكتاب الذي ظهر في الوقت المناسب لكي يتعرف القارىء على المفهوم الحقيقي لمعنى الصداقة التي تدوم والتي تسد فراغاً رهيباً يشعر به الإنسان المعاصر مهما امتلك من وسائل الرفاهية في علاقة صحيحة مع الآخرين مهما اجتازت هذه العلاقة من صعوبات وتناقضات.

دار الثقافة

المحتويات

(١)

سخاء الصداقة

"لا توجد ممتلكات قيِّمة أكثر من صديق أمين وصالح"

سقراط

كانت السحب الكثيفة تغطي السماء الرمادية اللون، وكانت قطرات المطر تصفع السيارات من الخلف وهي تشق الطريق وتقف بنظام عند حافة القبر، ووقفت أراقب باهتمام بالغ وجوه الناس، فقد خيم عليهم الصمت التام. رفعت ياقتي حتى أتحاشى الرياح العنيفة، لقد كان الحزن والغضب وهما توأما الحزن البشري يخيمان على المكان، وتزايدت الجموع في العدد، واقترب الناس أكثر فأكثر ليعبِّروا عن حاجتهم إلى من يشاركهم هذه اللحظة وفي هذا المكان.

ووقف ستة رجال محاولين أن يتماسكوا ويحبسوا دموعهم. لقد كنت راعيهم، ولكنهم كانوا أصدقاءه المقربين، لقد صدمهم موته المفاجيء. لقد ذهب، وأدّيت أنا مهمتي وتلوت صلواتي، إلا أن هؤلاء الرجال لم يستطيعوا إخفاء شعورهم العميق بالحزن العميق.

وفيما أراقبهم وهم يغادرون المقبرة تساءلت في أعماقي، ما هذا الحب الرائع الذي يجذب الناس معاً حتى في لحظة الموت التي تتسم بالألم لدرجة أن يقف الناس معاً في هذه الأمطار الباردة ليودعوا صديقهم. عدت إلى مكتبي وأمسكت

بفنجان القهوة لأنه دافيء أكثر من كونه سبباً في بعث الانتعاش، وسرحت بخيالي في قائمة من الأشكال والأسماء لأناس كانوا أصدقائي إلا أني فقدتهم. فعندما كنا في الجنازة سار رجل لا أعرفه ليتجه إلى القبر المفتوح ويركع بجانبه ويبكي بدموع غزيرة وهو يقبِّل يد شخص عرفه لعقود طويلة ثم قال هذه الكلمات: "لقد كان صديقي".

وفي هذا اليوم بدأت أحاول فهم ذلك الحب البشري الذي نطلق عليه الصداقة ولا أستطيع معرفة ما إذا كان بإمكاني الكتابة عنه، ولكن يمكنني التعرف عليه عندما أراه، ولا أعلم إذا ما كانت محاولتي لوصف وتفسير ما عرفته ستنجح، ولكني أعرفه عندما يقف أمامي في شكل عيون بشرية متفاعلة، وعلى الرغم من أنه لا يمكنك أن "تمسكه"، إلا أنك يمكنك أن تهديء عاطفة الصداقة لكي تراها بوضوح أكثر.

بحث لفهم الصداقة

الصداقة أمر نملكه جميعاً، ولا نتعب منه على الرغم من أنه شيء غير ضروري لأجسادنا لكي نظل أحياء، ولكنه شيء لا يمكننا الاستغناء عنه. ولا تعتمد على سن أو نوع أو جنس أو ديانة أو عقيدة أو جغرافيا.

فمن الناحية البيولوچية فنحن لا نحتاج إلى الصداقة لكي نحيا، ولكننا نعلم أنه لا يمكننا أن نعيش حياة مثمرة بدون صداقة. فهي قوة ديناميكية موجودة في كل مكان وزمان وفي كل جيل، وثقافة، أثَّرت على الناس في كل عصور التاريخ

الإنساني، إذ إنها تفرض نفسها على الحديث في المقاهي والمطاعم والمطابخ والمكاتب والمصانع والسيارات والطائرات والحافلات، وعاجلاً أم آجلاً ستجد الكلمة طريقها إلى كل حديث وحوار مثل "لدي صديق حدث له..."، "أنا وصديقي..."، أو "لا يمكنني فهم صديقتي، فهي..."، "إنني غاضب من صديقي لأنه..". فالصداقة حقيقة الحياة، وهي متاهة الحياة في نفس الوقت.

حاول البعض تعريف الصداقة من الناحية الوظيفية، وتوصلوا إلى أن الصداقات تُبنى على أسس ثلاثة "مردودات"، ووفقاً لهذا المنظور نجد أن الصداقة شيء "نفعله" أو "نملكه" من أجل الحصول على مردود شخصي:

١- مردود مادي، مثل التضحية أو المال أو المشاركة في العمل.

٢- مردود عاطفي، مثل التأييد والتشجيع.

٣- مردود في الاهتمامات المشتركة، مثل الصحبة أو القيم المشتركة.

يعتقد المؤمنون أن الصداقة انعكاس لصورة الله التي نحملها في داخلنا، فمعنى أن الله خلقنا على صورته ومثاله، أنه خلقنا من أجل إظهار الحب للآخرين، بمعنى آخر من أجل الصداقة. وكما أن ألوهية الله حية في وحدة الثالوث، فقد خلقنا الله أيضاً من أجل علاقاتنا مع بعضنا البعض، إنه السر الروحي العظيم لكل إنسان، فلا يمكننا أن نكون بشراً حين نبعد عن بعضنا البعض، فقد خلقنا الله ليكون لنا علاقات مع بعضنا البعض، لأنه خلقنا بأسلوب يدفعنا للسعي للدخول في علاقات بالآخرين، تماماً مثلما نسعى للحصول على الأوكسچين

للرئتين. لنملأ اشتياقنا الداخلي إلى التكامل والصحبة.

يشير البعض إلى أن الصداقة هي الاتجاه القديم من أجل أن تُحِب وتُحَب. وقد أطلقت الأجيال الأولى على الصداقة عبارة "إيروس" "Eross" (إله الحب عند الإغريق)، وفسرها "آلان جونز" "Alan Jones" قائلاً: "إيروس ليس ببساطة الاتجاه الداخلي نحو إشباع الاحتياجات الجنسية، ولكنه دافع نحو الشعور بالرضا والكمال.. فالمحبة من هذا المنطلق أكثر بكثير من مجرد الدافع الرومانسي، ورغبة كل مخلوق في أن يحدد موضعه بين الآخرين".

وتدريجياً ندرك أننا نحتاج لعلاقة الصداقة، فننجذب نحو بعضنا البعض نتيجة للاحتياج الفطري. فلن نستطيع أن نحيا حياة كاملة كبشر حين نبتعد بعضنا عن البعض، فنحن بحاجة إلى الآخرين ليساعدونا على الحياة الكاملة "لنشعر أننا في منزلنا".

لقد اقتربت "فريدريك بوتشنر" "Fredrick Buechner" من رؤيتي عندما حاولت وصف الصداقة:

"إن الأصدقاء هم أفراد تجعلهم جزءاً من حياتك لا لغرض إلا أنك تشعر بأنك تحبهم. فهناك طرق أخرى كثيرة يرتبط بها الناس بعضهم بالبعض، مثل القرابة، أو المعيشة بالقرب من بعضهم البعض، أو الاشتراك في عاطفة خاصة" ولكن الصداقة في الأساس لا تكوّن لسبب خاص.

التشويش حول مفهوم الصداقة

جلس أمامي وهو يشعر بمشاعر تتراوح ما بين الغضب والإحباط وقال: "لنكن صرحاء، فالصداقة ليست أمراً سهلاً، فهي ليست صافية وواضحة، فلدي أصدقاء صالحون وأصدقاء سيئون، وتعرفت على أصدقاء ممكن أن يعيرونني القميص الذي يرتدونه، وآخرين يتكلمون عليَّ بمجرد أن أدير ظهري. فالصداقة أمر محير، فهناك صعوبة في أن تكون صديقاً، حتى بعد الحصول على أصدقاء، فإن الاحتفاظ بهم أمر معقد".

لم أستطع الموافقة على ما يقوله، ولهذا السبب كتبت هذا الكتاب، ولم أكن ناجحاً في كل الصداقات التي كوَّنتها، فبعضها أصابني بالإحباط وبعضها بالنِعَم التي لا يمكن وصفها، وقد اختبرت الفرح الغني للصداقة الجيدة لكي تحفظني إعادة البحث مرة أخرى من البداية للحصول على المزيد. لقد واجه جميعنا فشلاً في الصداقات من قبل، فالصداقة أمر بشرى للغاية، وصادق، وغير واضح المعالم، وليس بالاتساع الذي يمكن وصفه أو تشكيله أو وضع قوائم له.

قضيت عامين كاملين في المدرسة الثانوية محاولاً بكل جد أن أجعل أحد الزملاء يقبلني كصديق، ولكنه كان متسامحاً معي ليس إلا، وقبل ذلك كنت أتَقَرَّب من زميل آخر على أمل أن يلاحظ إخلاصي ويدعوني إلى دائرته المقرَّبة لأكون أحد "رفقائه"، وعندما أصبح رئيس فريق الكشافة رأيت أن هذه هي فرصتي، وطلبت منه أن يجعلني واحداً من ضباطه، فضحك ثم أبدى عدم موافقته.

(١) سخاء الصداقة

أعلم مقدار الألم الذي يصاحب الصداقة التي لم تبدأ، أو تلك التي ندخل فيها لمجرد قضاء بعض الوقت، وأعلم مقدار الألم الشديد الذي يصيب الإنسان نتيجة للرفض، والحزن الشديد الناتج عن عدم اهتمام الآخرين.

وفي تعاملي مع الناس في المواقف المختلفة لأكثر من عشرين عاماً، لاحظتهم وهم يتصارعون من أجل الصداقة، وإليك ما قاله بعضهم:

- إنني أعرف كيف أرحِّب بالزملاء الجدد وكيف أبدأ الحديث معهم، ولكن يبدو أنني لا أستطيع الانتقال من هذه النقطة إلى العمق.

- لا يوجد أناس يمكنني اعتبارهم أصدقاء مقربين مثلما كان أصدقائي في الكلية، فقد تغير معظمهم بعد التخرج وابتعدنا عن بعضنا البعض. والآن أتساءل: هل سأختبر مرة أخرى المشاعر الغنية التي تصاحب وجود أصدقاء مقربين؟

- يبدو أن أصدقائي طيبون لبعض الوقت، ثم يبدو وكأن شيئاً حدث فتحولوا إلى أشخاص سيئيين، أشعر بأن هناك أمراً مفقوداً في تعاملي مع أصدقائي يعوقني من الاحتفاظ باستمرار الصداقة. ما هو هذا الشيء الذي أفتقده؟.

- أعيش معظم حياتي في عالم مليء بالغرباء، فهناك أناس أعرفهم في عملي وفي كنيستي، ولكن لا أستطيع أن أقول إنني أشعر أن هناك من يعرفني.

- تزوج كل أصدقائي وأشعر أنني مهمل وهم مشغولون بمستقبلهم وسعداء به. فعندما نتقابل أجد نفسي أشبه بالعَجَلة الخامسة في السيارة، وأشعر بأنني

مهمل من أفراد كنت أعتبرهم أفضل أصدقائي.

- الصداقة بالنسبة لي مثل العطلات، فبعد كل الصخب والإثارة لا يتبقى لي إلا ورقة التغليف الفارغة.

- لا يوجد في حياتي أكثر تدميراً من الصداقات التافهة التي أراها في التليفزيون وفي المجلات، ومللت من عدم تفهم الصداقة التي أراها في الأفلام والقصص. أين هم من سيقولون الحق من خلال علاقة الصداقة؟ إذ أن ذلك أمر مؤلم للغاية.

حب الاستطلاع في مجال الصداقة

ما هو هذا الشيء الذي يؤلمك، ولكنه يبعث على الشعور بالسعادة الغامرة؟ لكي أكون صادقاً يجب أن أقول أن سجل صوري لا يحفل بصور حزينة فقط أو سعيدة فقط، ولكنه مليء بذكريات لكل منهما، فيمكنني أن أطلعك على مخاوفي من الجراح التي أثَّرت عليَّ بسبب الأصدقاء الذين آلموني عبر السنين، ولكن في نفس الوقت أخبرك بقصص أصدقائي الآخرين التي لم أستطع أن أوفيها حق قدرها. وكبداية دعني أخبرك عن أحد أصدقائي:

هو على نقيضي تماماً، فقد نشأت على الاعتقاد بأن القمح ينمو أكبر، وأن النساء أكثر جمالاً، وأن الرجال أكثر وسامة، وأن الحياة أكثر تعقيداً على الجانب الغربي لهذه الحدود، أما هو فكان يعيد ويؤكد على الكلمات التي يسمعها في رسالة الكنيسة، وكنت أعلم أنه يمكنني أن أغفر له معتقداته لأنه وُلد في هذا

الجانب الخاطيء من حدود البلاد. وبعد مضي ثلاثة عشر عاماً عرفني وعرفته، فعندما كنا نتقابل لعدة مرات كل عام كان كلاً منا يتحدث عما في قلبه وعقله نحو الآخر، وكنا نثق في بعضنا البعض، ونواجه بعضنا البعض، ونتعمق في علاقتنا ببعضنا البعض، ونحب بعضنا البعض. ولم أعرف شخصاً أصابني بالإحباط أكثر منه، ولم أعرف شخصاً عكسي تماماً أكثر منه، ولم أعرف أحداً يمكنني الوثوق فيه أكثر منه.

مواقف مؤثرة وخطيرة وتتسم بالجدال، هل هذا هو ما جمعنا كأصدقاء؟ هل لأنه أنقذ عائلتي من منزلها الذي كان يحترق، أم لأنني أنقذت كلبه من سيارة مسرعة على الطريق؟ هل تنمو الصداقة من خلال مواقف الحياة وتحولاتها وأحداثها المؤثرة والمهمة؟. لا، فإن الصداقة تأتي من العمل معاً، والمنافسة معاً، وتناول الطعام معاً، والصلاة معاً، والعبادة معاً، والضحك معاً، والبكاء معاً، والشك معاً، والإيمان معاً، والفشل معاً، والكسب معاً، والنمو معاً.

فيما كنت أبحث وأستعد لكتابة هذا الكتاب أعطيت اهتماماً بالغاً لمفاهيمنا عن الصداقة، وكيف أن طريقة تفكيرنا تؤثر على الأسلوب الذي نتصرف به في هذه العلاقات. ففي حين تناقش العديد من الكتب مهارات الصداقة، إلا أن القليل يركِّز على فهم العقبات التي تظهر في طريقها في كل عصر ومرحلة من مراحل حياتنا، لقد تعلمت أهمية البحث عن العدسات التي نرى من خلالها الصداقة، لأنها ستحدد الأسلوب الذي نرى به الصداقة، فتشكل وجهات نظرنا عن الصداقة

وتوقعاتنا، والتي بدورها تحدد إلى حد كبير نجاح علاقاتنا أو فشلها.

عندما كنا أطفالاً لم نكن نفكر كثيراً، فإذا أعجبت بي فيمكنك أن تكون صديقي وإذا لعبت معي أكون صديقك. فالصديق هو الشخص الموجود الآن، ويرغب في أن يلعب معي مباريات الحياة. ثم يأتي وقت حينما تغطي فيه سحابة رمادية السماء، ويهبط الواقع المؤلم على برائتنا وتلقائيتنا، فنحن نحتاج إلى أكثر من مجرد لاعبين عاديين، وإلى أكثر من لهو مؤقت، نحتاج إلى شخص يعكس حبه علينا بشعاع دافيء ولامع في وسط مصاعب الحياة. فالصديق هو شخص يأتي إلى جانبنا ويشجعنا. فهناك العديد من المفاهيم المرتبطة بالصداقة مثل "إنه مثل أخي"، و "نحن أقرب من الأختين"، و "لا يمكننا الانفصال عن بعضنا البعض".

الأصدقاء أناس كنا قد قابلناهم في وقت ما ثم أحببناهم طوال حياتنا. عندما نقيِّم الصداقة كمفهوم منفصل نجد أنه يعني أقل أو أكثر مما تعنيه الكلمة، ففي ظروف الشعور بالعزلة نعلم أن الصداقة هي أكثر من مجرد كلمات.

سخاء الصداقة

جلست أمام صديقي على الغداء، وتركنا الحوار يتدفق تلقائياً، فهناك لحظات من الصدق والتقارب بيننا، ثم تساءل فجأة: "هل تعلم ما الذي أحتاجه من أصدقائي؟ عندما تصبح الحياة مبهمة بسبب الكثير والكثير من الأمور فإني أكون في أشد الحاجة إلى شخص يعكس نور الله لي مرة أخرى، ويدير مرآة الله نحوي مرة أخرى حتى أستطيع أن أتذكر أنني شخص له قيمة".

لهذا فإنني مقتنع أنه لا يكفي أن نضع قوائم بمهارات الصداقة، وصفات الأصدقاء الصالحين، أو وصف للصداقات الناجحة دون أن نحاول رسم أو وصف الطبيعة الأساسية للصداقة.

ما هي الصداقة؟ في هذا الكتاب سوف أقترح اصطلاحاً مجازياً مستفزاً يساعدنا على فهم الطبيعة الحقيقية للصداقة، كما يمدنا بالخطوات العملية للتعامل مع الصداقة. إنه اصطلاح الكرم.

تحدث "هنري نووين" "Henri Nouwen" في كتابه (Reaching Out) عن المفهوم الغني للسخاء، كمجال يخلق مساحة حرة مفتوحة يمكن للناس أن يتقابلوا فيها دون خوف أو عداوة. فيذكرنا أن الكرم هو أحد الممارسات الكتابية الأساسية التي نتوقعها من هؤلاء الذين يتخذون التعاليم الكتابية بجدية.

"على الرغم من أن كثيراً -أو معظم الغرباء في هذا العالم- أصبحوا ضحايا للعداوة المخيفة، إلا أنه من الممكن للرجال والنساء أن يقدموا مساحة مفتوحة من السخاء يستطيع أن يلقي فيها الغرباء بأحمالهم، ويصبحوا رفقاءنا في البشرية، وهذا أمر إلزامي بالنسبة للمؤمنين. فهذه هي مهمتنا أن نحوِّل العدو إلى صديق، وأن نوفر مساحة حرة يمكن أن تُمارس فيها الإخوَّة وتتشكَّل".

وقبل بدء هذا الحديث سأعرض تصور "نووين" عن السخاء كتعريف عملي وفعَّال للصداقة والذي أثبت أنه يستحق وقتنا وطاقتنا **"إن الصداقة هي إبداع السخاء، فهي فتح مساحة حرة ومفتوحة يمكننا أن نقبل فيها بعضنا البعض**

كعطايا لأجل حياتنا".

أدعوك أن تفكر في علاقاتك الحالية، وترى ما إذا كنت توافق: هل يمكنك أن ترى أن أصدقاءك هم فرص للعطاء والترحيب بقبول سخاء الآخر؟

يمكن للسخاء أن يساعدنا على فهم الفعالية العملية للصداقة بسرعة أكبر، فيتسم بعض الناس بأنهم ليسوا مضيفين كرماء، والبعض الآخر مشغولون لدرجة أنهم لا يستطيعون أن يكونوا مضيفين متفهمين، والبعض الآخر مشغولون بحياتهم لدرجة أنهم لا يستطيعون أن يستضيفوا أحداً على الإطلاق. إن السخاء أمر كما هو شخصي فهو أيضاً جماعي متسع، مما يعني أنه أمر يمكن تعلمه، ولكنه فن أكثر منه شيء طبيعي، ومهاري يحتاج للتدريب، يمارسه البعض بمهارة وطبيعية أكثر.

في بعض الأحيان تتخطى الصداقة حدود السن، فتحمل أولى ذكرياتي عن الصداقة علاقتي برجل عجوز في كنيستي. وقد كنت في الرابعة أو الخامسة من عمري، حيث كنت ماهراً في الهروب من والدي لأجلس بجوار صديقي. ولا أعلم كيف بدأت العلاقة، لكني أتذكر جيداً ذراعيه المفتوحتين للترحيب بي. وفي بعض الأحيان اعتدت أن أجلس بجواره طوال فترة الخدمة في الكنيسة.

ماذا فعل؟ لقد كان أكبر مني بعشرات السنين، وكان بيننا القليل من الأمور المشتركة. فهو لا يحب لعب الألعاب التي أرغبها، كما أنني متأكد من أنني لا أستطيع أن أفهم محادثاته التي كانت تناسب البالغين، ولكنه قدم لي ما كنت

أحتاجه وهي دعوته المرحبة الكريمة للجلوس معه. فقد وفر حرفياً مكاناً حراً ومفتوحاً لي لكي أكون موجوداً. لقد أحببت الرجل العجوز وشعرت بحزن شديد عندما انتقلنا من هذه الكنيسة. لقد عاملني معاملة تتصف بالكرم بطريقة استطعت أن أفهمها وأنا طفل صغير لم يلتحق بالمدرسة بعد.

في بعض الأحيان تعبر الصداقة حدود الثقافة والخلفية. كان لي زميلة تعمل معي في مكتب "شركة تأمين"، وهي "سيدة من الطبقة الوسطى"، وأبوها من العاملين بالتصنيع وهي أم وربة منزل، وأنا تربيت في أسرة مسيحية، أما هي فقد نشأت في الهند، وهي ابنة لأبوين يدينان بالديانة الهندوسية. وكانت تظهر كل يوم في المكتب مرتدية الساري الهندي وهي علامة مميزة للحضارة التي أتت منها. وقد كان إيمانها بالديانة الهندية واضحاً للغاية.

وتطورت صداقة دافئة عبرت الحدود الجغرافية والدينية والاقتصادية والثقافية، فوفرت كل منهما الكرم، وقدَّمت مساحة حرة، وصداقة متبادلة، ومكاناً مرحباً للاتصال والاحترام المتبادل والتأثير والثقة وبالتأكيد حب الاستطلاع فيما يتعلق بالاختلافات الثقافية.

أعتقد أن يسوع يقدِّر الصداقة في صورة السخاء، لأنه يقدِّر العلاقات حق قدرها، فقد بدأت خدمته الأرضية بالصداقة حيث جمع مجموعة صغيرة من الناس حوله ليتعلموا منه ويتشاركوا معه، وليستمتعوا بالحياة معه، وليبدأوا العمل الخاص ببناء عالم جديد. فنقرأ في يوحنا ١٣:٣٤-٣٥ كلماته التي تقول: "وصية

جديدة أنا أعطيكم أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً. بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حب بعضكم لبعض".

جلست في أحد الأيام لأتأمل في معنى هذه الكلمات، فمعنى ما قاله يسوع "إني أوصيكم أن تكون لكم علاقات تتصرفون فيها من أجل رخاء الآخرين، فبهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إذا كان لكم علاقات بعضكم مع بعض". ثم فكرت في هذه الكلمات من منظور الصداقة. "وصية جديدة أنا أعطيكم أن تكونوا أصدقاء بعضكم لبعض. كما كنت صديقكم تكونون أنتم أيضاً أصدقاء بعضكم لبعض. بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كانت لكم صداقة بعضكم لبعض".

قال يسوع قرب نهاية خدمته شيئاً مثل هذا عندما تحدث مع تلاميذه وأعلن أنهم أصدقاؤه في مقولة لم يقلها معلم آخر في القرن الأول. فإن تلاميذه تحولوا ليس إلى خدام معلمين بل تحولوا إلى أصدقاء. "لكني قد سميتكم أحباء لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي. ليس أنتم اخترتموني بل أنا اخترتكم". (يوحنا ١٥: ١٥-١٦).

لقد اختار يسوع تشبيه الصداقة بعناية بعد أن علَّمهم كمعلم، فلن يرى الناس تلاميذه من منظور ضيق ومحدود، ولكن الآن يسوع يدعوهم ليتحركوا معه إلى المعاني الواسعة والممتدة للصداقة. فكما قدم وصفاً مؤثراً لله إذ قال "آبا" أو "عزيزي الآب" وهو مصطلح مؤثر، فقد استعان به في وصف الذين يتعلمون منه

بلفظ "أصدقاء". فكل من هذه المصطلحات تعطي مفهوم التآلف والتقارب.

أليس هذا ما نرغبه جميعاً ونتوق إليه؟ أن نجد أصدقاءً يعكسون قيم يسوع العالية من خلال صداقتهم معنا؟ فالصداقة هي أحد الطرق التي نستطيع بها أن نعطي الحب ونأخذه. فهي أداة ينتقل الحب من خلالها، فإذا فسدت فإنها لا تنقل الحب. فهي تحوي النعمة في داخلها ومن خلالها يُعبَّر به عن هذه النعمة.

أكتب باقتناع عميق وحقيقي أن الله أعطى الصداقة للعائلة الإنسانية كوسيلة من وسائل النعمة. والصداقة أمر مقدس، بمعنى أن الله يهتم بالصداقة ويكرمها ويظهر لنا محبته من خلال علاقات إنسانية متنوعة.

وسنشترك في هذا الكتاب في المناقشة عن التشويش والتعقيد، وظاهرة صعوبة الصداقة، فإنني مقتنع بأن المناقشة ستساعدنا جميعاً على تعميق وتطوير صداقاتنا.

عندما بدأت في كتابة هذا الكتاب، تجولّت بين الآيات الكتابية حتى أرى إذا ما كانت قد تحدثت عن الصداقة، وأين تحدثت عنها ومتى. وعلى الرغم من وجود العديد من الصداقات الكتابية إلا أنني اقتنعت بأن العديد من هذه الصداقات يدعونا إلى اختبار أفضل ما في كلمة الله عن هذا الموضوع، فتعرفت على بعض القصائد والقصص الكتابية في العهدين القديم والجديد والتي تُظهر لنا سبعة مباديء عن الصداقة.

لا يقدم هذا الكتاب وصفات أو إجابات سهلة عن الأمور المعقَّدة الخاصة

بالصداقة، ولكنه كُتب بناء على إيمان المؤلف بأن البحث من أجل الفهم يستحق المعاناة، فالكتاب الذي يقدم لك خمس خطوات من أجل الحصول على علاقة صداقة كاملة لا يستحق أن تضيع وقتك فيه، فالصداقة أمر فريد وأصيل مثلك أنت شخصياً، وتأتي الصداقات في كل المستويات والأشكال واللغات والثقافات والأنماط، فما يعمل في علاقة ربما لا يعمل في الأخرى، والذي له معنى في صداقتك ليس له نفس القيمة في أخرى، إلا أننا جميعاً نشترك في حب التطلع الطبيعي إلى الصداقة والجوع إلى علاقة على الأقل مع فرد واحد يستطيع أن يشاركنا السير في رحلتنا. وأنا ليس لدي أية إجابات أو حلول، ولكنني أؤمن بأن هناك قيمة للحوار المتبادل وهو الأسلوب الذي اتبعته في كتابة هذا الكتاب. فمرحباً بك.

أسئلة للدراسة:

١- من كان أفضل أصدقائك حين كنت في الحادية عشرة؟ وما الذي جعل هذه الصداقة مهمة بالنسبة لك؟

٢- من هو أفضل أصدقائك اليوم؟ وما الذي جعله مهماً بالنسبة لك؟

٣- اذكر ثلاثة أسباب تسعى بسببها لصداقة الآخرين؟ وعما تبحث في الصديق الصالح؟

٤- ما الذي دفعك إلى قراءة هذا الكتاب؟ ولماذا الآن؟

٥- اكتشف صداقاتك الحالية. هل هي قوية وسليمة؟ وما هي الجوانب التي تعتقد أنها تحتاج إلى نمو؟

(٢)

لو كنت حقاً تعرفني

"الصديق هو الشخص الذي أكون صادقاً معه

وأمامه أفكر بصوت مرتفع"

إيمرسون Emerson

تتطلب الصداقة اختياراً لا غنى عنه، وهو أن تكون بلا قناع.

جلست في الفصل مع ستة أشخاص على شكل دائرة، وسألت سؤالاً لمجرد كسر حاجز الصمت، إلا أنه كان بداية لمناقشة ساخنة. والسؤال هو "أكمل هذه العبارة بما تراه مناسباً: إذا كنت حقاً تعرفني...."

فبدأت بيتي الإجابة قائلة: "إذا كنت حقاً تعرفني ستتحدث معي عن السيارات، فأنا مولعة بالسيارات وخاصة سيارات السباق"، ثم تلتها دانا: "إذا كنت حقاً تعرفني لكنت علمت أنني نشأت في الجبال وأحب التنزه سيراً على الأقدام كلما سنحت لي الفرصة".

كان الأمر يسير على ما يرام، فقد كنا نتعلم بعض الأمور التي قد تساعد المجموعة على الترابط، وتساعدنا على الوصول إلى مستويات أعمق في الحديث عن موضوع الدراسة.

أما سارة فكانت آخر من تحدثت في المجموعة، فقد نظرت إلى أسفل

وتحسست ساعتها مرتبكة، وهي تديرها حول معصمها بحركة منتظمة وتنتظر فترات طويلة بين كل كلمة وأخرى، وتتنهد بعمق وبطء قبل الحديث، وخرجت كلماتها بنبرات حزينة من شخص يشعر بألم عميق وجرح لم يلتئم بعد، فقالت: "لو كنت حقاً تعرفني لما أحببتني".

وقد جرَّ هذا السؤال الذي لم يهدف إلى إيذاء مشاعر أي شخص إلى تفجير مشاعر الحزن والألم لدى شخص ما، فقد تحدث ستة أشخاص عن أمور سطحية وتحدث شخص واحد عن آلامه، ولعب ستة أشخاص لعبة العلاقات في حين عبَّر شخص عن حزنه نتيجة لخوف بشري عميق، فلو كنت حقاً تعرفني فلن تحبني، ذلك بغض النظر عن قبولك لي واعتزازك بي.

يمتلك بول تورنير "Paul Tournier" أسلوباً قيِّماً للحديث عن أول تعليم كتابي عن الصداقة من التعاليم السبع التي سنتناولها، فقد ميَّز ما بين **الشخص والشخصية**، فالشخص هو النفس الحقيقية أي إنساننا الداخلي أي النفس بلا غطاء، فهو ذلك الشعور الداخلي الذي يعتبر أمراً خاصاً وشخصياً وغير مكشوف، أما **الشخصية** فهي تلك النفس العامة والشخصية التي يراها الآخرون، الشخصية التي أعتقد أنها أنا، وصورتي عن نفسي التي أقدمها لك، والوجه الذي أظهره علانية، بطريقة رسمية أو بطرق مخططة. فهي ذلك القناع الذي أرتديه لأشعر بالأمان.

يقول تورنير: "إن الشخصية تعمل مثل المدينة أو الدولة التي تقوم بإعداد

الترتيبات لعمل عرض ما يعبر عنها"، ففيما أكتب هذا الفصل تستضيف أتلانتا دورة الألعاب الأوليمبية الصيفية، وقد وضع مسئولو المدينة الترتيبات التي تعبر عن أفضل صورة لمدينتهم، وأظهروها كالعاصمة المتحضرة والمنظمة والتي يسهل السيطرة عليها. ولكن منذ عدة شهور ظهر الوجه القبيح للمدينة في أحداث العنف والتفرقة العنصرية. ففي الواقع أفزع انفجار عنيف الروح الاحتفالية الخاصة بهذه الألعاب، ويضيف "تورينر" قائلاً إن هذا يشبه جزءاً من النفس الحقيقية، إذ أن الشخصية هي القناع الذي نرتديه لنحمي أمان الشخص الداخلي. إلا أن الأمر الكتابي الأول يعلِّمنا أن **الصداقة تتطلب عدم وجود أقنعة.**

في المراحل الأولى لتطور الصداقة ونموها نقرر ما الذي سنفعله بتلك الأقنعة التي نرتديها، هل سنكشف عن حقيقتنا للآخر؟ هل سنفتح مشاعرنا العميقة للآخر؟ أم سنحصِّن أنفسنا بكل أمان؟ هل سنرتدي الأقنعة أم سنتحمل المخاطرة الخاصة بتعرية الوجه الحقيقي أمام الآخر؟. حدد "جيري وماري هوايت" ثلاثة مستويات للصداقة مع الناس.

المستوى الأول: يعد الأصدقاء العرضيون وهم معارف وأناس نراهم بانتظام من خلال روابط اجتماعية عرضية، وقد نعرف هؤلاء الناس لمدة قصيرة أو طوال الحياة، ولكن نادراً ما تتعمق علاقتنا بهم.

المستوى الثاني: الأصدقاء المقربون، وهم أناس نتشارك معهم في الأنشطة المهمة، أو المشروعات، أو الوظائف مثل المؤسسات والكنائس والدراسة، أو

المؤسسات الخدمية. فنبني علاقة متماسكة مع هؤلاء الناس.

المستوى الثالث: الأصدقاء الحميمون وهم الدائرة الداخلية الصغيرة من الناس الذين نسكب أنفسنا أمامهم، ونشاركهم مشاعرنا العميقة وآمالنا العريضة، إذ إنهم يسددون أعمق احتياجاتنا، ونستمتع بأننا معهم ونتطلع إلى أن نكون معهم أكثر من غيرهم".

يظهر لنا وصف هوايت أنه لا يوجد تشابه بين كل الصداقات، لأن درجة الالتزام والائتلاف تختلف، فليست كل الصداقات تتعمق وتصبح قيِّمة وتروي نفوسنا. فإن الحقيقة الهامة: توجد مستويات للصداقة. ويعتمد المستوى الذي سنصل إليه بنسبة كبيرة على التصرفات بدون قناع.

تتطلب الصداقة أن تختار ألا تضع قناعاً ، فهي تعلَّم كيف تكون واضحاً أو ما يطلق عليه "فن تعرية الذات". فكلمة ***واضح*** تعني أن تكون بلا حماية -أي عرضة لأي هجوم وبلا أسلحة للدفاع ومفتوح على الخطر- فهي ذلك الأمر الذي يحدث عندما أخلع قناع **شخصيتي** لكي أعلن وأشارك شخصي الداخلي، أي أنني أصبح معرَّضاً للخطر من شخص آخر. ولا ينطوي الأمر فقط على وجود مخاطر، إذ إن خبراتنا تعلمنا أن الوضوح يمكن أن يتسبب في ألم.

داود ويوناثان

تغطي قصة داود ويوناثان مجموعة كبيرة من آيات الكتاب المقدس وصفحاته، فترسم صورة رائعة لرجلين تقدما في مراحل الصداقة، إلا أن بداية صداقتهما

تقدم صورة غريبة لافتة للنظر لحساسيتها ووضوحها وعدم التخفِّي وراء الأقنعة.

كان يوناثان بن شاول أول ملوك إسرائيل الأقوياء، وبذلك كان أمير أول أسرة ملكية في الأمة بأكملها. وعلى النقيض كان داود ابن راعي أغنام وفلاح يُدعى يسّى وهو أصغر ابن وآخر شخص في شجرة العائلة. يمكنك ملاحظة الفرق الاجتماعي، فانتماء شخص منهما إلى العائلة الملكية يقابله انتماء الآخر إلى عامة الناس. كان داود قد أنهى صراعه الشهير مع العملاق الفلسطيني جليات، وقد أدخلوه إلى حضرة الملك ليتكلم عن نصرته. وفيما هو يجيب أسئلة شاول تحدث عن خلفيته المتواضعة كراعي غنم في بيت لحم.

راقب الأمير الصغير "يوناثان" داود وهو يقص حكايته على الملك. يخبرنا صموئيل الأول ١٨:١ : "وكان لما فرغ من الكلام مع شاول أن نفس يوناثان تعلقت بنفس داود وأحبه يوناثان كنفسه". لقد بدأت صداقتهما كما تبدأ العديد من الصداقات بمقابلة غير منظمة وغير مرتبة مما يخلق حب الاستطلاع أو الاهتمام بالآخر. لقد كانت هناك "كيمياء"، أو اهتمام طبيعي، أو انجذاب نحو بعضهما البعض، مما أدى إلى حدوث الصداقة. قد يكون من الصعب أن نفسر لماذا نحب شخصاً ننجذب إليه أو نهتم به، لأنه أمر يحدث بطريقة تلقائية.

وعلى الرغم من ذلك اتخذ يوناثان خطوة أكبر نحو داود من جهة "شعوره بالنقص" من الناحية الاجتماعية، وبالتالي يوضح مبدأ ضرورة عدم ارتداء الأقنعة: "وقطع يوناثان وداود عهداً لأنه أحبه كنفسه. وخلع يوناثان الجبة التي عليه

وأعطاها لداود مع ثيابه وسيفه وقوسه ومنطقته" (١صم ١٨: ٣-٤).

يعد العهد اتفاقاً بين طرفين، وكان مستخدماً بطريقة شائعة في العالم القديم لأغراض عسكرية وقانونية وسياسية، وكان بمثابة محاولة لتحديد ووصف العلاقة بين طرفين، وفي بعض الأحيان كان العهد يستخدم في أمور تتسم بأنها أكثر من شخصية لشرح واتفاق بين شخصين مثل يوناثان الأمير وداود راعي الغنم. اتخذ يوناثان الخطوة الأولى واستبعد جانباً أية معطلات اجتماعية تخلق بينهما فجوة، فيوناثان ابن الملك، وداود كان مجرد خادم للملك. فاتخذ يوناثان خطوة الصراحة نحو داود وأظهر له صداقته بعهد صداقة عملي وملموس. وقد أدت العهود التي قطعها داود ويوناثان معاً إلى حماية أولاد يوناثان فيما بعد، ولكن هذا الاتفاق بدا وكأنه عهد صداقة.

لقد كان تبادل الأسلحة بهذا الأسلوب طريقة قديمة لإقامة الصداقات، فعندما أعطى يوناثان لداود ثوبه كانت هذه علامة على علاقة المساواة التي بينهما، لقد خلع قناع القوة والسلطة الملكية ووضع نفسه في مستوى بسيط مع داود، وعندما خلع سيفه أزاح عن نفسه قناع الدفاع، ووضع نفسه في مستوى عدم الحماية مثل داود، لقد أصبح مكشوفاً فعلاً. وعندما سلم يوناثان سيفه وقوسه، فقد نزع الأسلحة عن نفسه حرفياً وخلع عن نفسه قناع الأسلحة، ووضع نفسه في موقع الشخص الذي لا يأخذ موقفاً دفاعياً. وعندما قدم لداود منطقته، سمح لداود بالحصول على بعض السلطات المخولة له بسبب العرش.

إن الرمزية واضحة للغاية: فلا توجد أية علامات واضحة تدل على نية تحقيق تفوق أحدهما على الآخر أو الاتجاه نحو الدفاع والقدرة على الهجوم والحصول على نفس القوة والسلطان. وتوجد فروق حضارية وتاريخية كبيرة بين العالم القديم وعالمنا المعاصر، وأنا لا أطلب أن نتجاهلها، ولكن يجب النظر إلى مبادرة يوناثان كمثال رائع على الخطوات التي يجب أن يتخذها الأصدقاء في وقت ما، أعني خطوات خلع الأقنعة، لقد نحَّى يوناثان قوته جانباً، ونحَّى وضعه الاجتماعي، ودعا داود إلى عالمه من خلال تصرفات واضحة للكرم الفريد. يبدو أن كاتب النص الكتابي يصرّ على أن نرى هذه الصداقة بوضوح: إذ إن يوناثان خلع الأقنعة عن نفسه لرغبته في صداقة داود، تبدأ الصداقة بخطوة خلع الأقنعة، والتخلي عن الأسلحة، وتقديم الشخص نفسه بوضوح للآخر. ويمكن فهم عطايا يوناثان الرمزية على أنها تعبير ملموس عن المشاعر الداخلية للانفتاح على الآخر، فعلى الرغم من وضع يوناثان الاجتماعي ومكانته كأمير وابن للملك القوي، إلا أنه مستعد أن ينحِّي جانباً كل هذا حتى يكسب صداقة داود.

تبدأ الصداقات عادة عندما يتخذ شخص ما "الخطوة الأولى" بوضوح نحو الآخر. فقد يتحول الأمر إلى عملية تخمينية إذا لم يتبادل الآخر التجاوب معبراً عن نفس الرغبة. فيجب على الشخص أن يتخذ الخطوة الأولى بخلع الأقنعة. وأعتقد أن عملية خلع الأقنعة معدية، فلا يوجد بديل عن الاتجاه نحو الصراحة خلال المرحلة الأولى لبدء العلاقة، فلن تتقدم العلاقة بسرعة دون هذه الشفافية.

هل يمكن أن تكون صديقي؟

عندما كنا أطفالاً صغاراً كنا نبدأ عملية الصداقة بأسلوب غير مباشر وخجول قائلين من خلال عبارات مثل: "هل تريد أن تلعب معي الاستغماية؟" أو "لدي جاروفان هل ترغب في حفر الرمال معي؟" أو "هيا نركب الدراجات معاً" أو "هل تريد أن تأتي معي إلى المنزل لنلعب سوياً؟"، وعندما نكبر نجد طرقاً أكثر تعقيداً لنشارك بها الآخرين في لعبنا، ولكن مخاطرة خلع الأقنعة تتزايد.

استرجع ذكرياتك عن صداقاتك في مرحلة الطفولة المبكرة، وكيف بدأت، ومن اتخذ الخطوة الأولى. وماذا حدث فيما بعد؟ ثم فكر في صداقاتك مع الناضجين حالياً وكيف بدأت؟ ومن الذي اتخذ الخطوة الأولى؟ وإلى أي حد تنطوي تلك الخطوات على فن خلع الأقنعة؟

ونظراً لعدم وجود أماكن خالية، فقد جلست فتاتان في مطعم لا تجمعهما أية معرفة ببعضهما على نفس المائدة حيث وجدتا مكانين خاليين، وكان المطعم صاخباً ومزدحماً ويأتي إليه الناس ويذهبون، وأصوات الأطباق والملاعق كانت تبعث على الشعور بعدم الراحة، فسألت واحدة منهما الأخرى قائلة: "كيف حالك؟" وكان هدف السؤال مجرد تبادل حوار سطحي وعرضي. فأتت إليها الإجابة من شريكتها في الجانب الآخر للمنضدة وهي فزعة: "أنا بخير"، فواصلت الأولى حديثها قائلة: "لست بارعة في عقد الصداقات، فالصداقات صعبة بالنسبة لي، ولكنني أشعر كما لو أن بيننا أموراً كثيرة مشتركة. ويبدو كما لو أن هذه قد تنمو

إلى شيء أفضل".

لم يتوقف الشعور بالخوف، إلا أنه أصبح هناك بعض الشعور بالاسترخاء، فقد اتخذت المخاطرة!

قد يثير خلع الأقنعة المشاعر والعواطف مثلما حدث بين الفتاتين أو قد يكون بسيطاً كأن تقول: "أهلاً لنذهب لتناول فنجان من القهوة". ولكن الأمر يبدأ باتخاذ مبادرة خلع الأقنعة. إن لم تتعلم فن خلع الأقنعة فسيبقى أصدقاؤك مجرد معارف لا أكثر، والمعارف هم أشخاص نعرفهم عن بُعد ونشاركهم بالقليل عن أنفسنا، فالصداقات العميقة تتطلب أمانة مع الآخرين. فتعلم أن تنحى جانباً المقدمات التي نستخدمها لنحمي بها أنفسنا، تجرأ أن تنفتح على الآخر. ليست هذه مجرد وصفة للصداقة ولكنها خطوة مهمة.

نرى في تكوين ٢: ٢٥ وصفاً آخر لمبدأ التعرية أو الوضوح: "وكانا كلاهما عريانين آدم وامرأته وهما لا يخجلان". لقد وقفا أمام بعضهما البعض بلا حواجز بينهما وهو تشبيه يتحدث عن الانفتاح والأمانة والكمال، ففي رسم الله الأصلي لم يكن هناك حاجة إلى أوراق التين، ففي الواقع لم تكن هناك حاجة إلى أية أغطية من أي نوع. فهناك شخصان يقفان أمام بعضهما البعض ويتعاملان مع بعضهما البعض بحرية الأمانة وبلا خجل، فلم تكن هناك حاجة إلى التملق المحسوب والشائك الذي نعتقد أنه أمر طبيعي، فمن الممكن للشخص أن يتعامل مع الآخر بوضوح بريء حيث لا يوجد ما يخفيه أو يحميه.

قال أحد المعلقين: "لقد استطاع الناس مرة أن يقفوا وهم لا يشعرون بالخجل من نظرة الله". هل كانت هذه مجرد ذكرى نذكرها في قصص الماضي، ألا يمكن أن تحدث الآن؟ إن الصداقة تقدم باباً نحو واقع أمين يمكن الوثوق به للغاية.

لا يمكن أن تتحرك العلاقات لمجرد معرفتنا ببعض الأساسيات دون اتخاذ بعض الخطوات الأولية نحو الشفافية. تفشل العلاقات بل وتموت حين يختفي الوضوح، وعندما تحمل الكلمات معنيين، وعندما نفكر في كيفية حماية أسرارنا. كيف يحدث لنا هذا؟ كيف ننتقل من نقطة الأمانة والوضوح إلى الاختفاء خلف أوراق التين وعدم الأمانة والعار؟

الاستغماية

هل تتذكر لعبة الاستغماية حين كنت طفلاً؟ تلك اللعبة التي تقضي فيها وقتاً محاولاً أن تجري وتختبيء وتنتظر أن يكتشفك الآخرون؟

وهل يمكنك أن تتذكر حين كنت طفلاً أميناً وواضحاً مع بعض الأشخاص فاستغلوا أسرارك في إيذائك؟ والعهد الذي قطعته على نفسك أن تكون أكثر حذراً في المرة القادمة. وحين تلعب الاستغماية بهذه المشاعر وتحمي نفسك من الشعور بالأذى؟ فنشعر أننا نحيا في عالمين أحدهما هو العالم الذي يراه الناس ويسمعونه، والآخر هو العالم الذي تختبيء فيه مشاعرنا في مكان أمين محمية ضد الكلمات القاسية والأفعال المؤلمة ممن يطلق عليهم "الأصدقاء".

ومع مرور الوقت وصلنا إلى مرحلة البلوغ الذي فقدنا فيها قدرتنا على

الانفتاح نحو الآخرين، لقد تعلمنا أن نكون حذرين، ونحمي إنساننا الداخلي من الدمار من تلك الصداقات التي قد تدخل إلى حياتنا.

ويبدو أن هناك فروقاً بين الذكر والأنثى تستحق الملاحظة في هذه المرحلة، على الأقل في الحضارة الغربية. يبدو أن الرجال أقل كفاءة في ممارسة فن خلع الأقنعة، في حين أن النساء أكثر قدرة على خلع الأقنعة مع العديد من الأصدقاء في نفس الوقت. أضف إلى هذا عامل آخر مهم تدعمه الأبحاث الحديثة، ألا وهو ميل الرجال إلى إقامة علاقات سطحية أكثر من النساء، فهم يجدون أن الحوار المفتوح والأمانة أشياء صعبة.

توصلت ليتي كوتن بوجربين "Letty Cottin Pogrebin" في أبحاث عديدة إلى نفس النتيجة ألا وهي: أن الرجال لديهم أصدقاء أكثر من النساء، ولكن صداقات النساء أغنى وأعمق وذات معنى أكثر. لنوضح الأمر بأسلوب آخر: لو كانت الصداقة مجال دراسة فإن الرجال سيحصلون على درجة ضعيف في أربعة مواد أساسية. وتستمر ليتي في تحديدها لهذه المجالات الأربعة التي سيحصل فيها الرجال على درجة ضعيف فتقول:

- لا يعبِّر الرجال لبعضهم البعض عن أي نوع من أنواع التأثر.
- لا يتحدث الرجال مع بعضهم البعض في الأمور الحميمة.
- لا يتبادل الرجال المنفعة.

- لا يوجد لدى الرجال صداقات مقرّبة، فيميلون إلى رؤية بعضهم البعض كأفراد يقومون بأدوار محددة.

ومما سبق نجد أن الرجال يصارعون معركة روحية مع الكبرياء. فيخاف الرجال من عدم انضباطهم، ولذلك يتظاهرون كما لو كان كل شيء في حياتهم على ما يرام حتى ولو كانت حياتهم تتمزق. فأن تظهر العواطف إلى شخص آخر فهذا معناه الضعف، حيث لا يعتبر الضعف صفة إيجابية للرجل، والنتيجة مستوى سطحي من الاتصال وعدم رغبة في الاعتراف أو الغفران.

لقد انبهرت بتفسير "بوجربين" إذ قالت: " تتحدث النساء عن أنفسهن ومشاعرهن ومخاوفهن وشكوكهن وعلاقاتهن الغرامية، وبيوتهن وأسرهن ومشاكلهن، في حين يتحدث الرجال عن المنافسة والظلم أو أشياء رأوها أو سمعوها، فيتناقشون عن العمل والرياضة والسياسة والقضايا الاجتماعية والمال والمشروعات التجارية والسيارات والجو والمواصلات. ومهما كان موضوع الحديث سواء تناول الجنس أو الرياضة أو السياسة، فعادة ما يثبت الرجل رجولته وينتهي إلى أنه في المقدمة.

عندما تنتهي إلى أنك في المقدمة، فهذا معناه أنك تعاني من الكبرياء الروحية مما سيبعدك عن احتياجك الحقيقي، وهو الاعتراف والغفران من خلال الصداقات المشتركة، ويؤدي هذا إلى تبني استراتيجية الإنكار والتجنب وعدم الأمانة وهي استراتيجية قد تؤدي إلى الشعور بالمرارة وفقدان الأصدقاء. وأفضل استراتيجية

التعلم هي خلع القناع، وممارسته، والتدريب عليه، بأخذ المخاطرة، كما يفعل الكثيرون في مجال المنافسة الرياضية والتجارية والمشروعات الأخرى.

لا يوجد أسلوب لتعميق الصداقة دون التعود على ممارسة فن خلع الأقنعة.

الحدود والفطنة والتمييز:

"أليس ذلك النوع من الصداقة فيه مغامرة وخطر؟ هل يجب الانفتاح إلى كل شخص وإلى أي شخص؟". لقد كانت أسئلة ذلك الشخص أمينة، ومن الواضح أنها نابعة من خبرته الشخصية في رفض الآخرين له.

وقد كانت إجابتي: "تعد الفطنة نقيض التهور، ولكن يجب أن تكون حريصاً ومميزاً لطبيعة المخاطر التي تجتاز فيها".

يقول سفر الأمثال: "المكثر الأصحاب يخرب نفسه ولكن يوجد محب ألزق من الأخ" (أم ١٨:٢٤). يجب أن تكون ممارسة فن خلع الأقنعة بناءً على اختيار ما، فقد يقودك بعض الأصدقاء إلى الدمار وآخرون نحو الغنى ونمو العلاقات المحبة. هناك احتياج إلى الفطنة الحكيمة، ولكنها تحتاج إلى تدريب.

من الأفضل أن نتحدث بصراحة عن مخاطر الصداقة، فهناك ما يطلق عليه نووين "Nouwen" "أشكال الرفض البسيطة اليومية" "والتي قد تسبب الألم، وخاصة ذلك النوع المنتشر في هذه الأيام وهو الإيلام غير المقصود الناتج عن "المرح التهكمي"، فمن الممكن أن يكون هناك إنكار أو صمت مرير من شخص

(٢) لو كنت حقاً تعرفني

كانت نواياه بريئة، ولكن كلماته تسببت في حدوث الألم بالنسبة لنا. إننا نميل أحياناً إلى إساءة استخدام الكلمات بأساليب قد تتسبب في حدوث الألم، في عالم أصبحت فيه معاني الكلمات لا تعطي مدلولها الحقيقي بسبب كثرة استخدامها في اللغة الكوميدية التهكمية.

ولهذا فإن الحدود ضرورية لسلامتنا الشخصية والعقلية. والأشخاص المنفتحون على الآخرين بكل تفاصيل حياتهم الشخصية يعتبرون غير أسوياء من الناحية النفسية، فقد تفشل علاقاتهم الاجتماعية، فليس لديهم رؤية واضحة عن هويتهم، وبالتالي يتشاركون مع الآخرين بكل حرية. فالشخص السليم لديه شعور سليم بالحدود النفسية والشخصية وله القدرة على قول: "لا، هذا جزء خاص يجب مشاركته فقط مع صديق أثق فيه". ويعد وضع الحدود جزءاً أساسياً من خلع الأقنعة.

أعرف طالبة جامعية تعثرت في سنواتها الثلاث الأولى في الجامعة، فإذا نظر شخص نحوها أو ابتسم في وجهها وهي تعبر أمامه كانت تأخذ الأمر على أنه علامة لإقامة علاقة صداقة معه. لقد كانت تعاني من الاكتئاب ومن حاجتها الملحة إلى حب الناس لها، وبالتالي أقدمت على اختيارات تتسم بعدم الفطنة، فيستطيع أي شخص يظهر أي نوع من أنواع الاهتمام نحوها أن يتحدث معها في كل شيء.

لقد رأيتها في أحد مواسم الشتاء في جزء منعزل من المعسكر، وعيناها

متورمة من الدموع: "إنني غبية للغاية، غبية للغاية"، وقد نطقت بهذه الكلمات وهي تشعر بالاكتئاب النفسي. "إنهم أصدقائي ولكن كل ما أرادوه هو مساعدتي لهم في الامتحان ومفاتيح سيارتي، وعندما حصلوا على ما أرادوا تهكموا عليَّ وتركوني وحيدة مرة أخرى".

تعد الفطنة مزيجاً مثمراً من الغريزة والفهم الصائب للأمور الذي تدعمه الخبرة، فيمكنك أن تتعلم من كل مقابلة إنسانية، وتكتسب خبرة في التعرف على الآخرين وعلى نفسك، ويشتمل خلع الأقنعة على حكمة الفطنة في وضع الحدود المناسبة.

هل يمكنني أن أثق فيك بقلبي؟

وضع وليم باركلي "William Barclay" سؤالاً يمكننا جميعاً أن نسأله: "أتساءل إذا ما كان هناك شخص يمكنني أن أفتح له قلبي؟". هذا هو السؤال القاسي الخاص بخلع الأقنعة.

وأجاب الفيلسوف سنكا "Seneca" عن هذا السؤال قائلاً: "إذا أردت أن تكون محبوباً أحبب الآخرين". فلا يوجد أي أسلوب آخر إذ إن الرحلة تبدأ بخلع الأقنعة.

منذ عدة سنوات تردد هذا السؤال في كلمات أغنية مشهورة: "هل يمكنني أن أثق فيك بقلبي؟" هل يمكنني أن آخذ زمام المبادرة وأنفتح عليك دون خوف من الشعور بالأذى؟. أخشى أن تكون الإجابة (بلا)، ستكون هناك مخاطر دائماً وألم

الشعور الحقيقي بالخطر". يحذرنا سفر الأمثال (٢٢: ٢٤-٢٥) من المخاطر التي تحتوي عليها الصداقات: "لا تستصحب غضوباً ومع رجل ساخط لا تجيء. لئلا تألف طرقه وتأخذ شركاً إلى نفسك".

وسأقتبس من (نووين) مرة أخرى تحذيره الحكيم:

"لا يمكن أن تنمو الصداقة أو المحبة أو تتماسك في جو من القلق، فهما يتطلبان مساحة خالية من الخوف وفيها نستطيع أن نقترب أو نبتعد. فطالما أن شعورنا بالعزلة هو القاسم المشترك بيننا ولذلك فإن وجودنا معاً لن يشعرنا بهذه العزلة، فإننا سنبدأ في أن نؤنب بعضنا بعضاً عن طريق رغباتنا الغير ناضجة والغير حقيقية في سبيل أن نصبح واحداً لنهدأ داخلياً".

فمطلوب أن نقدم الكرَم الذي يبدأ بممارسة فن خلع الأقنعة، وفيما يلي الأخبار السارة ألا وهي أن السخاء هو المهارة التي يمكن أن يتعلمها الجميع، ذلك على الرغم من أنه أمر طبيعي بالنسبة للبعض، ففيما نمارس الفن القديم الخاص بالسخاء، فإننا بهذا نُوجد إمكانية الوقوف معاً على أرض الصداقة المقدسة، فقد لا يرتبط كل من المضيف والضيف بعلاقة حميمة مثل تلك التي تقام بين مدير الفندق ونزلائه المائة في ليلة واحدة، فقد يكون مهذباً، أو معاوناً، ولكنه لا يقدم كرماً حقيقياً أو يتعلم خلع الأقنعة والترحيب بالآخر.

ما هي بعض "التدريبات" التي قد تساعدني على تعلم مهارة سخاء خلع الأقنعة؟

١- مارس مهارة الاستماع الجيد (انظر الفصل الرابع)، واظهر اهتمامك بالآخر، واعط رأيك بعد الاستماع، واعمل جاهداً على إعطاء الشخص الآخر انتباهك الكامل. لا يمكنك أن تسأل أسئلة فقط أو تبدأ في الحديث عن نفسك، وتنتظر الإجابة. استمع إلى المعاني العميقة واسأل نفسك: ما الذي عرفته عن هذا الشخص من خلال حديثنا معاً؟ما الذي أعرفه الآن ولم أكن أعرفه من قبل؟.

٢- مارس فن أن تسأل أسئلة معقولة أو أسئلة عقلانية تدفع الآخر إلى الحديث عن مشاعره وقضاياه الداخلية واهتماماته الشخصية، فبدلاً من أن تقول: "ما نوع العمل الذي تقوم به؟ اسأله: ما الذي يحفزك في حياتك العملية؟" أو "إلى أي مدى أصبحت مختلفاً اليوم في مهنتك عن العام الماضي؟". فهناك مبدأ أساسي في مهارة الحديث أن لا تتحدث عن نفسك كثيراً بل تتعلم أن تكون مضيفاً عظيماً بأن تسأل أسئلة عظيمة.

٣- لا تمارس "مواصلة الأحاديث التافهة"، واحترس من الاندماج في المحادثات والموضوعات السطحية، واستمع إلى أحاديثك طوال الأربع والعشرين ساعة، واحتفظ بذاكرة لتسترجع أكثر أحاديثك وموضوعاتك وقضاياك المكررة. واسأل نفسك: ***هل أريد الاستماع إلى شريط معاد من الأحاديث اليومية؟ لما نعم أو لما لا؟***

٤- مارس مهارات النمو، واسأل نفسك بانتظام ما الذي يمكنك أن تفعله لتحسين مهاراتك في أسلوب الأسئلة؟ من الذي أعرفه يسأل أسئلة قيِّمة؟

٥- تذكر كيمياء المدرسة الثانوية، فهناك شيء مميز في بعض الصداقات، فتعد بعض الصداقات مثل التفاعلات الكيمائية، قد تحدث وبعضها لا يحدث.

يقدم السخاء عندما أرحب بك في مساحة مفتوحة وحرة حيث يمكننا تعلُّم أن نحب بعضنا البعض. لن تشعر بالمخاطرة أو بالانفتاح في كل مقابلة حديثة، ولكن تبدأ الصداقة الحقيقية عندما أقدم لشخص آخر السخاء وأرحب به في عالمي الخاص.

أسئلة للدراسة

١- كيف ستكمل هذا السؤال: "لو كنت حقاً تعرفني...؟"

٢- اذكر قائمة بأصدقائك وفقاً للثلاثة مستويات الموصوفة والتي ذكرناها سابقاً في هذا الفصل؟

٣- لمن كنت مثل يوناثان في حياتك.

٤- اكتب قصة عن صداقة تطورت حديثاً. كيف بدأت؟ وما الذي ساعدها على النمو.

٥- هل أنت شخص ملتزم ومخلص.

(٣)

بابي مفتوح لك دائماً

"لا أحد يلتفت للوردة -حقاً إنها صغيرة للغاية-

ونحن ليس لدينا وقت، فالرؤية تحتاج إلى وقت

مثلما تحتاج الصداقات إلى وقت"

چورچيا أوكيفي *Georgia O'Keefe*

تنمو الصداقات من خلال اختيار الإخلاص بوعي.

قرأت العبارة التالية في قصيدة إدوين ماركهام "Edwin Markham" إذ تقول: "لقد رسموا دائرة وتركوني خارجها". وتذكرت لحظات في طفولتي تتشابه مع هذه الكلمات.. لحظات ألم ورفض وحزن.

إن لم تكن تستطيع أن تشترك في قول نفس العبارة فهل يمكنك على الأقل أن تتعرف على تلك المشاعر؟ فهي قوة لا يوجد مثلها نظير قوة رفض إعطاء السخاء للآخر، القوة على قول "لا" بدلاً من "نعم"، قول "ليس الآن" بدلاً من "اليوم". قد يكون قرار الرفض أصعب من قرار الترحيب، ولدينا جميعاً قصص عن أوقات تلك الدائرة التي كنا خارجها.

يخلق الاستبعاد والرفض مخاوف عميقة، وإمكانية وجود ألم طوال الحياة. ففي الواقع تنطوي إقامة علاقات صداقة وعلاقات حميمة على مخاطر لا توجد في

أي شيء آخر، فإذا اقتربت منك قد تختار أن تتجاهلني، أو أسوأ من هذا، أن ترفضني. فإن تجرأت على خلع القناع ولو للحظة، فقد تعرِّضني تعرية شخصيتي الحقيقية إلى انكسار قلب آخر، وإن وثقت بك حتى ولو بدرجة بسيطة فإنك بهذا تمتلك القدرة على إيذائي. أعلم أنك أيضاً تعرف هذا الأمر، فقد شعرنا جميعاً بألم رفض المحبة، ولكن لا توجد أية وسيلة أخرى للحصول على الصداقة إلا اختيار بدائل تتسم بالمخاطرة. وهنا نصل إلى التعليم الكتابي الثاني الذي ينادي بأن ***الصداقات تنمو من خلال اختيار الإخلاص عن قصد.***

يخبرنا سفر راعوث بقصة نعمي وكنَّتها راعوث. جسدت چوييس هوليداي "Joyce Hollyday" في كتابها ***(نحن نرتدي الشمس)*** شخصية هاتين السيدتين بأنهما "من يعيشان من أجل الصراحة"، لقد تسببت المجاعة الموجودة في هذه المنطقة في انتقال نعمي من بلدها إلى أرض موآب ومات زوجها وابناها ليتركاها وحيدة في أرض غريبة مع كنتيها الأجنبيتين، وكان المستقبل مظلماً بالنسبة لهذه الأرملة، كانت نعمي عجوزاً وكانت تعلم أنها قد لا تسدد احتياجات أسرتها، لهذا أطلقت النساء الصغيرات ليعدن إلى عائلتهن الأصلية حتى يحصلا على الاهتمام والحماية. وفي حديثها معهما أخبرتهما قائلة: اذهبا وارجعا، فليس عليكما أن تعانيا لأن الرب تعامل معي بقسوة، ولكنكما صغيرتان ويمكنكما الزواج مرة أخرى، فإذا واصلتما المسيرة معي، فلن يكن هناك أمل في الزواج (انظر راعوث ١:٨-١٣).

دراسة حالة عن الصداقة

أطلق على قصة نعمى وراعوث اسم "دراسة حالة عن الصداقة"، فهي قصة كتابية عن صداقة مريرة تحولت إلى صداقة سعيدة.

لقد أصابت حياة نعمى المصائب والألم والمعاناة، فقد تراجعت إحدى كنتيها أما الأخرى -أعني راعوث- فقد رفضت أن تهجرها، بل أعلنت محبتها وإخلاصها لحماتها وصديقتها، فقالت راعوث: "لا تلحي عليَّ أن أتركك وأرجع عنك، لأنه حيثما ذهبت أذهب وحيثما بتِّ أبيت. شعبك شعبي وإلهك إلهي". (راعوث ١: ١٦).

تُستخدم هذه الكلمات في العديد من احتفالات العرس، ليعبِّر كل من الزوج والزوجة عن ولائهما والتزامهما، ولكن يجب أن نتذكر السياق الأصلي الذي ذُكرت فيه هذه الكلمات التي تتسم بالإخلاص من صديق نحو صديقه، من امرأة إلى أخرى. والصداقة أيضاً تتطلب ذلك، فالمحبة ليست سمة الأوقات التي تشرق فيها الشمس وأوقات الضحك، ولكنها أيضاً من أجل الأيام المليئة بعواصف وأمطار الضغوط والصراعات. تواجه الصداقة تحديات الإخلاص والولاء، فتنمو الصداقة الحقيقية نتيجة لاختيارات صغيرة لا يمكن حصرها، وتتجمع لتكوِّن إخلاصاً كبيراً.

تصف "هوليداي" المبدأ الخاص بقصة راعوث قائلة: "كان هناك في وسط نجاحهما حب عميق وتكريس لبعضهما البعض، إذ كان بينهما عهد إخاء لا يمكن نقضه، فعندما تعاني إحداهما تصبح هذه المعاناة مشتركة بينهما، وعندما تسعد

واحدة تشعر كلاهما بالسعادة.. فقد انسكب حزن نعمى وراعوث بأمانتهما وتحوّل إلى فرح".

قال أحدهم ذات مرة: "الصديق هو الشخص الذي يتقرب منك حين يبتعد عنك الآخرون". الإخلاص هو ذلك الاختيار العمدي من أجل الصداقة التي تجلب النمو، لقد كان هناك إنكار للذات في محبة راعوث لصديقتها نعمى، فقد قامت باختيار حريص بمواصلة صداقتها ورعايتها حتى تنمو. لقد كتب كثيرون عن الأنانية اليوم وخاصة في القرن العشرين بصعابه المريرة. فإن خبرتي مع طلبة الجامعة والمتخرجين حديثاً تتحدى هذا الرأي. فإننا جميعاً نحارب معركة ضد الأنانية. لأن هناك جوعاً نحو الصداقة كما في حالة راعوث ونعمى، ورغبة من كثيرين في صنع الاختيارات الضرورية من أجل الحصول على صداقة مثمرة.

عمل المحبة الشاق

أود أن أعرف بأن الصداقة تنمو بطريقة طبيعية وتلقائية دون أي مجهود أو قصد، حقيقة أنه توجد مجادلات قوية بخصوص الذين يعتقدون أنها ليست بهذه البساطة، فقد يحدث الأمر بهذا الأسلوب بالنسبة للبعض، ولكنه استثناء نادر. فاختيار أن تكون مخلصاً نحو صديقك مثل الأوكسچين الذي يدخل أو ينسحب. فعندما تقول: (نعم) فإن هذا يبث الحياة في العلاقة، وعندما تقول: (لا) فإن هذا يؤدي إلى موت حتمي. فنحن نختار ما بين قول نعم أو لا في العديد من المرات، وفي مئات الأحداث اليومية البسيطة. هل أتصل أم لا؟ أكتب أم لا؟ أزور أم لا.

فمعنى اختيار هذا الشخص كصديق لك هو أن تقول نعم لاثنين من أغلى صور الحياة قيمة ألا وهما ***المكان والوقت***، سأقضي ***وقتاً*** معك ***هنا*** في عالمي الحقيقي المملوء بالمشغولية، وهذا معناه أنني سأعطيك مساحة من وقتي وسأحاول أن أجد مكاناً لكي نكون معاً فيه.

في بعض الأحيان قد تقرأ كلمات تبدو أنها حقيقية لدرجة أنك لا تستطيع الاستمرار في القراءة. حدث ذلك معي عندما قرأت لأول مرة تلك الكلمات التي كتبها سكوت بيك "M. Scott. Peck" .

"الحب فعل إرادي بمعنى أنه عمدي وفعلي، وتنطوي الإرادة على الاختيار أيضاً.. وذلك لا يعني أننا يجب أن نحب، ولكننا نختار أن نحب، فالحب ليس هو مجرد العطاء لكنه عطاء حكيم وامتناع حكيم أيضاً، فهو مدح حكيم ونقد حكيم، ومجاملة، ومواجهة حكيمة، ودفع حكيم وسحب حكيم. بالإضافة إلى المواجهة، فهو قيادة. تنطوي كلمة حكيم على إصدار الأحكام، ويتطلب إصدار الأحكام أكثر من مجرد غريزة، إذ أنه يتطلب اتخاذ قرار مؤلم في بعض الأحيان".

إن الاختيارات الإرادية تعتبر نظاماً دائماً يغذي الصداقة. فعلى الرغم من أن هذا لا يحدث كل مرة عن عمد إلا أنني أختار تقديم الكرم لك، وتوفير مساحة من الأمان والترحيب. فما لم يخبرنا به الآخرون عندما كنا أطفالاً وما نكتشفه بأنفسنا عندما نكبر هو معرفة أن مهارة إقامة علاقات صداقة مع الآخرين مهمة ليست سهلة.

(٣) بابي مفتوح لك دائماً

يعتبر سفر الجامعة ٤: ٩-١٢ أن الصداقة تستحق المعاناة:

"اثنان خير من واحد لأن لهما أجرة لتعبهما صالحة. لأنه إن وقع أحدهما يقيمه رفيقه. وويل لمن هو وحده إن وقع إذ ليس له ثانٍ ليقيمه. أيضاً إن اضطجع اثنان يكون لهما دفء. أما الواحد فكيف يدفأ. وإن غلب أحد على الواحد يقف مقابله الاثنان والخيط المثلوث لا ينقطع سريعاً".

هناك زميلة لي بالدراسة وتنتمي للبلدة التي أنتمي إليها، إلا أنها مختلفة عني تماماً، فقد صبغت شعرها منذ خمسة وعشرين عاماً قبل أن يصبح صبغ الشعر موضة، وكانت فقيرة وطبعها يتميز بالحدة وصوتها عالٍ ويتجنبها الجميع فيما عدا الدائرة الصغيرة من أصدقائها القدامى، وكانت تجلس بجواري في الفصل بالمدرسة الثانوية. كانت تفتقد إلى التكيف الاجتماعي في حضارة بُنيت على التكيف الاجتماعي، هل لم تلاحظ أنها مختلفة أم أنها لم تهتم؟ لم أعرف أبداً وحدث أن جلست إلى جواري يوماً بعد يوم.

ربما انجذبت إليها بسبب الألفة الناتجة عن رؤيتها في الفترات الطويلة التي نقضيها في الفصل، أو ربما يكون ذلك ناتجاً عن سن المراهقة في سن الثالثة عشرة حيث كانت فتاة جميلة وراء قناع الملابس والمكياچ وتسريحة الشعر، ولكن هذا ما حدث ولم أستطع تجنُّبه -فقد تحدثت إليَّ.

سألت سؤالاً وتبعته بمئات الأسئلة، وكانت تقصد أن تدفعني للكلام. وكان هناك زميل آخر يراقبني من الخلف باهتمام بالغ ويحرك كرسيه محدثاً ضجة

ليحذرني من أن هذه اللحظة قد لن تمر بخير.

كانت لحظة مواجهة، فقد كان هناك عرف اجتماعي غير مكتوب "بأننا لا يجب أن نتحدث مع تلك الفتاة". كان أصدقاؤها يدخنون في فناء المدرسة كثيراً ويضحكون بصوت عالٍ وهم يتحدثون عن حفلة الليلة السابقة في وسط المدينة.

والآن لن أقول لك إن تصرفاتي كانت محسوبة حيث كنت حكيماً ومميزاً لما أفعل، ولكن كان من المستحيل أن أفقد تلك اللحظة المتميزة. ربما ضعفت بسبب شعوري بالوحدة أم انجذبت بسبب حب استطلاعي، واتخذت قراراً حاسماً في هذا اليوم أن أجيب على أسئلتها. وكسرت القواعد الاجتماعية وتحدثت معها علانية. وعند هذه اللحظة الحاسمة اخترنا أن نعبر الخط غير المرئي نحو الصداقة.

ومع حلول وقت الغداء تأكد زميلي من أن الجميع يعرفون أنني كسرت القواعد الاجتماعية، ولكن هذا الأمر لم يهمني، لقد اتخذت قراري وظللت أنا والفتاة أصدقاء حتى اليوم الذي انتقلت فيه إلى مكان آخر.

ليست كل الاختيارات لها نفس ثقل ذلك الاختيار الذي اخترته عندما كسرت القواعد الاجتماعية في دراستي الثانوية. ولكننا نواجه جميعاً قرارات عديدة ضد الصداقة أو معها، قد نختار أن نتصرف بإخلاص وود وقد ننقض ذلك، ولكن الصداقة تنمو من خلال الاختيارات المقصودة المخلصة.

القلوب المتعانقة

يكتب ستو ويبر "Stu Weber" عن "إرادة الله نحو الصداقات الرجالية" في كتاب يحمل عنوان ***"الأذرع المتعانقة"*** "Locking Arms"، والعنوان تشبيه لإخلاص رجلين وقفا جنباً إلى جنب في مواجهة كل ما تأتي به الحياة، وعلى الرغم من أنها عبارة وصفية خاصة بصداقة الرجال إلا إنني أفضل أن أطلق عليها ***"القلوب المتعانقة"*** ، فمن خلال الاختيارات اليومية نحن نقرر أن تتعانق القلوب بالتزام الولاء نحو بعضنا البعض. فالحياة صعبة للغاية حتى إننا لا نستطيع مواجهتها بمفردنا، فتبدأ المعانقة. ويبدأ تعانق القلوب عندما نختار أن نحب بعضنا البعض باستخدام أشكال مختلفة من الإخلاص.

يتحدث "چون باركنس" "John Parkins" في جامعتنا ويعلق تعليقاً أدهشني للغاية. فقد أثَّرت حياته على حياة الكنيسة بطرق متميزة من خلال مبادئه المرتكزة على استراتيچيات المصالحة العرقية والخدمة المتجسدة. فقال باركنس: "لا يمكنني إنجاز العمل الذي أقوم به إلا من خلال أصدقائي الذين أعطاني الله إياهم".

شهدت حياة هذا الرجل الذي كان منارة للعدل ولإنجيل المسيح عن اعتماده على صداقاته، فإن تعانق الأذرع مع شركاء من أجل قضية المصالحة، وتعانق القلوب من أجل الخدمة. فإن الصداقات تنمو من خلال اختيارات الإخلاص. إذ نقف أقوياء في مواجهة الضغوط عندما يساندنا أصدقاء مخلصون.

- نحتاج إلى الصداقة الحميمة لعدة أسباب:

- المعونة عندما نسقط.
- المعونة في أوقات الأزمة.
- التشجيع.
- النمو.
- دفء الثقة المتبادلة.
- الحماية ضد ظروف الحياة.
- القبول.
- المرح والضحك.

تحدث بولس في رسائله عن الـ (**كوينونيا** *Koinonia*) أي الشركة باللغة اليونانية والتي تعني "العمل معاً في نفس الاتجاه، والمشاركة في حمل أثقال الحياة، وبناء شيء مشترك"، ويعد هذا مفهوماً آخر مهماً للصداقة، فتنمو الصداقة بطريقة طبيعية أكثر في تربة خاصة باختيار العمل معاً من أجل أهداف مشتركة. يكتب سي إس. لويس (C.S. Louis): "لهذا لا يستطيع الحزانى الذين "يريدون أصدقاء" الحصول على هؤلاء الأصدقاء، فالشرط الأساسي للحصول على أصدقاء هو أنه يجب أن نرغب في شيء آخر إلى جانب الصداقة. فعندما يتردد السؤال الذي يقول: هل ترى نفس الحق؟ وتكون الإجابة "لا أرى شيئاً ولا أهتم بهذاالحق، ولكن أريد صديقاً"، فإن الصداقة لا يمكن أن تقوم مهما كان التأثر واضحاً في الحديث. فلن يكون هناك شيء لكي تقوم عليه الصداقة. فالصداقة يجب أن تُبنى على شيء. فلا يستطيع الذين لا يمتلكون شيئاً مشاركة الآخرين بشيء، ولا يستطيع هؤلاء الذين لا يعرفون إلى أين يذهبون أن يجدوا من يتبعهم.

الحاجة إلى الانتماء

قد يقودنا احتياجنا إلى الانتماء إلى البحث عن أصدقاء، ولكن يجب أن يكون هناك أمور أخرى حتى تتأصل روابط هذه الصداقة. أتذكر حين اكتشفت هذه الحقيقة في صغري وكنت في العاشرة، فقد أُتيح لي الاختيار ما بين الحصول على دروس في البيانو أو الارتباط بفريق البيسبول الصغير، وبالطبع اخترت البيسبول. قد يكون العالم قد فقد عبقرياً من عباقرة الموسيقى، ولكن اختياري لم يكن عبارة عن اختيار لهوايات تمُارس داخل المنزل وأخرى تمارس خارجه في الصيف، أو بين ما كنت أعتبره تافهاً وما كنت أعتبره عظيماً ولكنه كان اختياراً للانتماء.

لقد أصبحت جزءاً من شيء، إذ انتهيت إلى تكوين فريق وكان لدي خمسة عشر ولداً آخرين يجتمعون حول ما اعتقدنا أنه الهدف الأساسي وراء لعب البيسبول، وكان يوم تبادل الفانلات الخاصة باللعب والخوذات من أعظم أيام حياتي. أصبحت هويتي آمنة فقد أصبحت نفسي ولم تبرح القبعة الخضراء التي تحمل الحرف الأول من اسمي المكتوب باللون الأبيض رأسي إلا نادراً في الصيف الذي لعبت فيه البيسبول. وعلى الرغم من أن المباريات التي خسرناها أكثر من تلك التي كسبناها، وعلى الرغم من أنني كنت أُضرب أكثر مما كنت أسدد الكرة، ولكن هذا لم يكن شاغلي الأول، إذ أنني كنت جزءاً من شيء مهم وأعظم من نفسي.

تشتمل الصداقة على الانتماء، لهذا تنمو الصداقة من خلال الاختيارات

العمرية، وهذا هو السبب وراء أهمية الإخلاص، فتتشابه الصداقة مع الزواج السليم، إذ إن الأصدقاء يجب أن يقرروا -مثلهم مثل الأزواج- انتماءهم لبعضهم البعض.

في فيلم "المزحة" تعرفنا على قصة امرأة تركت الغابات الخضراء الجميلة على الساحل لتنتقل إلى حقول القمح المعزولة وهي مازالت عروساً، ومع مرور الوقت تسبب الجفاف في ترك الكثير من العائلات لمنازلهم ومزارعهم وحقولهم وهم يشعرون باليأس والفشل، أما هي فقد كانت تصارع مع الأرض ممسكة بقبضة زوجها، فقد كان حبه للأرض يتماثل مع حبها للبحر الذي شعرت بالحزن الشديد لغيابها عنه. وشعرت في أعماق أعماقها أنها لا تنتمي إلى الأرض، ولا تستطيع معرفة السبب وراء حب زوجها للأرض، فلا تعلم ما الذي يراه زوجها في تلك الأرض التي لا تعطي ولا تسامح إذ إنها جافة للغاية وعارية بسبب ذلك الجفاف.

ولكن مع مرور الوقت بدأت تحب المكان وترفض قرار زوجها بإرسالها مرة أخرى إلى عائلتها في الساحل، لكنه أقنعها بأن هذه هي الطريقة الوحيدة التي ستنجيهم، لهذا ارتحلت مع الأطفال وقضت شهوراً طويلة وحيدة. والآن عادت تلك السيدة إلى موطنها مرة أخرى قرب المحيط الأطلنطي حيث الأرض الخضراء الخصبة، إلا أن الجفاف استمر وانفصلت عن زوجها مما تسبب في شعورها بالوحدة والألم.

وعندما تساقطت الأمطار أخيراً وظهرت المحاصيل سافر زوجها إليها ليعيدها

إلى المزرعة مرة أخرى، وواجهت أعظم قرار في حياتها، فقد كان يجب أن تقرر ما إذا كانت ستمكث حيث جمال الساحل، أم سترجع إلى المزرعة. واتخذت السيدة قرارها وذهبت إلى المزرعة.

وقد أثَّر فيَّ المشهد الأخير حيث خطت خطوتها الأولى داخل المزرعة حاملة عصا في يدها إذ إنها أعلنت قرارها للجميع بطريقة رمزية، وكتبت بهذه العصا كلمة واحدة فقط على التراب ألا وهي اسمها (سارة)، فقد تعلمت أن ترى الأمر بعيون الآخر وأن تحب بقلبها، وفي النهاية اختارت الانتماء إلى شيء أعظم من هويتها، وبهذا التصرف أعلنت إخلاصها للأرض ولمنزلها الجديد.

مرت الشاعرة كاثلين نوريس "Kathleen Norris" باختبار مماثل عندما انتقلت من نيويورك إلى داكتوس لتبيع مزرعة عائلتها، ولدهشتها مكثت في هذه المزرعة أكثر من عشرين عاماً وتعلمت أمراً مهماً ألا وهو: "لا تتعرف على المكان الذي أنت فيه وحسب ولكن يجب أن تحب ما تجده هناك".

من الممكن أن ينطبق هذا الدرس على الصداقة أيضاً، فعادة ما نقوم بدور "مستهلكي الصداقة" فنقترب من الناس معلنين قائمتنا الشخصية الخاصة بأذواقنا وآدائنا واهتماماتنا، فإذا بدا اختلاف أصدقائنا عنا فهل نغيرهم بسرعة كما نغير الجوارب بسبب أنهم مختلفون عنا؟ فالمضيف ليس له إلا الترحيب بالضيف واستقباله وقبوله كما هو.

اكتشاف الصداقة

يفكر كثيرون في الصداقة كما لو كانت هدفاً أو نوعاً من المنتجات، ويسعون وراء الحصول على أصدقاء. فنحن نحاول أن "نصنع أصدقاء" بينما الأفضل "أن نكتشفهم" عبر رحلة الحياة، ويعتقد ديترش بونهوفر "Dietrich Bonhoffer" أن هذا صحيح فيما يتعلق بتطور الصداقة في المجتمع. ويجاهد المؤمنون "لبناء" مجتمع أو عبادة أكثر من جهادهم "لاكتشاف" وجود مثل هذا المجتمع أو العبادة، فيذكرنا بأن الله كان يعمل جاهداً ليقرِّبنا في العبادة قبل وجودنا، "لأن الله وضع بالفعل أساس عبادتنا، ولأن الله جمعنا معاً في جسد واحد مع المؤمنين في يسوع المسيح حتى قبل ارتباطنا معاً بحياة مشتركة، فنحن نتشارك معاً ليس كأناس لهم حق المطالبة، ولكن كمستقبلين عليهم أن يشكروا من أجل تلك الشركة". ولا أعتقد أن هذا يعني أن ننتظر بسلبية لمبادرات الآخرين، لكننا بحاجة "للاكتشاف" أكثر من "الضغط" للحصول على الصداقة، فإذا كنا نريد صداقة ناضجة فيجب أن نتحرك.

قالت إحدى السيدات: "من المهم أن نتذكر أننا كمؤمنين يجب أن نبني جسد المسيح، وأن هذا الجسد يشتمل على أكثر من شخصين، كما يجب أن نرعى الصداقة مع نساء أخريات كجزء من مشاركتنا في العبادة لكي لا نتحاشى الشعور بالوحدة فحسب". ولكن يجب دائماً أن نتذكر أن الصداقة ما هي إلا حصيلة ثانوية لفعل شيء آخر، شيء ذو قيمة.

(٣) بابي مفتوح لك دائماً

في بعض الأحيان قد نفقد الصداقة، لأننا نبحث عن أمر خاطيء، فبدلاً من التطلع إلى إقامة علاقة صداقة مع ***شخص آخر***، فنحن غالباً نبحث عن الصداقة كما لو أننا نبحث عن **شيء** هام وذو قيمة لنفعله في حياتنا. فالمفاجأة غير المتوقعة للكثيرين هي اكتشاف صداقات أخرى. فالطلبة في فريق رياضي أو موسيقي أو مسرحي أو أي مشروعات جماعية أخرى يفهمون ذلك جيداً، إذ إن الصداقة غالباً ما تنمو نتيجة للمشاركة في الأنشطة نفسها.

في كل خريف أحضر مأدبة غداء ينظمها فريق كرة القدم بالجامعة، وأراقب الطلبة وهم يقفون ليتحدثوا عن خبراتهم كأعضاء في الفريق. وفي أول مرة ذهبت فيها إلى هذه المأدبة توقعت سماع الكثير من الأحاديث عن تقنيات اللعبة والأهداف والإحصاءات الأخرى، ولكني *استمعت إلى* صداقات نمت خلال زمن طويل من المنافسة في مجال كرة القدم. وقف الرجال والدموع تملأ أعينهم ليشكروا الآخرين على الصداقات الغنية التي "جاءت بالصدفة" نتيجة لقضائهم وقت طويل في التمرين واللعب معاً، ولم أتوقع فيما بعد الاستماع إلى الإحصاءات. والآن أذهب لأشاهد رجال أقوياء وأشداء يتحدثون بعاطفة وحنو عن صداقات قامت كنتاج ثانوي للسعي إلى هدف مشترك.

وعندما أنظر إلى سني حياتي الأخيرة، أحدد ثلاثة أصدقاء اكتشفت معهم سخاء الصداقة الجيدة، كان واحد منهم راع لكنه بدأ خطوة التصارح ودعا نفسه لمقابلتي باستمرار، لم أكن واثقاً من هذه الفكرة في المراحل الأولى، ولكنه أصرَّ

واستمرَّ في مقابلتي مرة كل أسبوعين لمدة ست سنوات لنقترب من بعضنا البعض في مجال الحياة العامة والخدمة.

وعندما تركت البلدة، أخذت زمام المبادرة في مكان جديد يكتظ بكثير من الرجال ودعوتهم ليفعلوا ما فعلناه معاً أنا وصديقي الراعي. ولمدة ست سنوات كان هناك مجموعة من الرجال يجلسون معاً لتتعانق قلوبهم كأصدقاء من خلال الصلاة والاعتماد على بعضهم البعض، وطوال السبع سنوات الماضية قمت بنفس الشيء مع شخصين آخرين في أوقات مخصصة للمشاركة.

شاركت كل هؤلاء الرجال عبر السنين بما اعتقدت أنه اكتشاف أن كل منا عطية وهبة منحها الله للآخر، فبدلاً من أن نشعر بحاجتنا إلى تغيير الآخرين من خلال استراتيچيات التعديل، فإننا نقرر قبول بعضنا البعض كما نحن، ونحب بعضنا البعض.

فإن السخاء معناه إتاحة مساحة حرة يمكن للغريب أن يدخلها ويصبح صديقاً بدلاً من أن يكون عدواً. والسخاء لا يعني تغيير الناس، ولكن تقديم مساحة لهم ليحدث التغيير. إن تناقض السخاء يظهر في إتاحة فراغ غير مخيف، ولكنه فراغ حميد يمكن للغرباء أن يدخلوه ويكتشفوا أنهم أحرار. أحرار في أن يرنموا ترانيمهم الخاصة، ويتحدثوا بلغتهم، أحرار ليتصرفوا في أمورهم بحرية. فالسخاء ليس دعوة لتبنِّي أسلوب المضيف، ولكنه أن تهب فرصة للضيف ليكتشف بنفسه.

جلس طالب في مكتبي والحزن يملأ قلبه وصوته وقال: "هل تعلم إنني لا أعتقد

أن هناك شخصاً واحداً أستطيع أن أتصل به في أي وقت من أوقات النهار أو الليل إذا حدث لي مكروه". كانت هذه صيحة الشعور بالوحدة التي تعكس الانعزالية، وحزنت من أجل هذا الطالب وتمنيت أن يكتسب المفهوم الكتابي الذي يدعو إلى أن الحفاظ على الصداقات لا يتم إلا من خلال الأفعال المقصودة المخلصة وقلب ملتزم نحو الصديق. ينتظر الكثيرون منا أن يظهر لنا الآخرون إخلاصهم، في حين أن هذه خطوة يجب أن يأخذها كلا الطرفين. لماذا؟ لأن الحياة تجلب لنا الألم فنواجه جميعاً صراعات وأزمات من حين لآخر.

إن القوة التي ينطوي عليها هذا المبدأ هي أن الصداقة لا تنمو إلا في وسط الألم، فعندما تزداد الأمور سوءاً تنمو الصداقة، يمكننا أن نتعلم من راعوث ونعمى اللتان اقتربتا من بعضهما البعض في وسط الأزمات، فقد سمح لهما الاختلاف باختيار إما أن تكونا مخلصتين أو لا، وقد اختارتا أن تخلصا لصداقتهما، فقد تصرفتا باهتمام نحو بعضهما البعض كما يتصرف الأصدقاء المخلصون.

ولكن لا يفعل الجميع كذلك، لهذا نحمل مخاوف من الطفولة نحو الأصدقاء الذين اختاروا أن يتركونا وينتموا لآخرين ويخلصوا لهم.

فكر في انتماءاتك في فترة الطفولة لفريق أو لنادٍ أو لمجموعة، ما الذي جعل هذا الأمر مهماً بالنسبة لك؟، والآن فكر في الوقت الذي تخلى فيه صديقك عنك ليرتبط بآخر، هل كان هناك أصدقاء آخرون تتسم علاقتهم بالإخلاص والتماسك؟

ماذا تتعلم من هذه الخبرات فيما يتعلق بالانتماء والإخلاص؟.

عندما أحمل أحمالك

تشتمل رسالة غلاطية الأصحاح السادس على صورتين متناقضتين ترتبطان معاً برباط وثيق بهذا المبدأ. فيخبرنا بولس في العدد الثاني أنه يجب علينا أن نحمل أحمال بعضنا البعض، ثم يقول في العدد الخامس: "لأن كل واحد سيحمل حمل نفسه". أليس هذا تناقضاً واضحاً؟ ما الذي يعنيه؟

لقد أخذ بولس هذه الصورة من الجيش الذي يسير في طابور الأسر، والأحمال المذكورة في عدد ٢ هي تلك الأحمال التي لا يستطيع أن يحملها الشخص بمفرده، وهي خيمة المجموعة وأكلهم وملبسهم ومعدَّاتهم، أما العدد ٥ فتشير إلى الحمل الشخصي، وهو الحمل الذي يتحمل الفرد مسئوليته. فهناك بعض الأشياء التي يجب أن نحملها بمفردنا. فلن تنضج الصداقة عندما يطلب شخص ما أن يتحمل عنه الآخرون مسئوليته الشخصية، فلا يعني الإخلاص أنني أفعل لك ما تستطيع فعله لنفسك، ولكنه يشير إلى المساعدة في حمل الأحمال الثقيلة التي لا تستطيع حملها بمفردك.

من ضمن الأوراق التي حملها بريدي اليوم إعلان عن محاولة خالية من المخاطر، ولكن لا يوجد مثل هذا العرض في الصداقة، فإذا كنت تقيم الصداقة حتى تحافظ على نفسك من الشعور بالوحدة. فلا توجد ضمانات في الصداقة تحميك من ذلك، ففي بعض الأحيان يتغير الأصدقاء.

(٣) بابي مفتوح لك دائماً

قال لي صديقي مؤخراً: "من الصعب أن أحتفل بخطبة أفضل صديقاتي في حين أنني لم أقابلها خلال الستة أشهر الماضية".

قال صديق آخر: "لقد كنت وزميلي مثل الإخوة في المدرسة الثانوية، والتحقنا بالجامعة معاً، وعشنا في نفس الغرفة، وتشاركنا معاً في كل أمور الحياة وتعلمنا الاقتراب من بعضنا البعض عندما توفى أخوه والذي تبعه وفاة والدي، وشعرنا أننا بحاجة إلى تعاطي الكحوليات لنكسر الحواجز ونعمق علاقتنا، ولكن كان لدينا ما نستطيع التمسك به، ثم تزوج زميلي ورحل إلى الجانب الآخر من البلاد. قضيت معه أسبوعاً مؤخراً، وكان أسوأ أسبوع في حياتي، فلم نحيا في مناطق مختلفة فحسب، ولكن في عالمين مختلفين، إذا جاز التعبير، فما كان بيننا من قبل قد ذهب، لقد كان أسبوعاً سطحياً في العلاقة.

نعم هناك ألم وهناك أزمنة للصداقات وهو ما يدعوه كاتب سفر الجامعة "وقت" وسنتحدث عن هذه الأوقات في الفصل الخامس. وبالطبع لا توجد وصفة خاصة بالصداقة يمكن أن تحقق نجاحاً عالمياً، لأن العلاقات تتعمق في داخلنا وقد تتغلغل في أجزاء مؤلمة من الحياة، وفي بعض الأحيان فإن غير الأسوياء قد لا يصلحون لأن يكونوا أصدقاء جيدين، وكذلك الأنانيون، ولكننا بحاجة لنكون على دراية بالصعاب التي نواجهها في كل العلاقات.

يمكنك أن تختار تجنُّب الناس، ولكن من الأفضل أن تتعلم كيف تفهمهم، وتساهم في نموهم. فتنمو الصداقات عندما نستمر في المحبة، ويمكن التعبير عن

المحبة من خلال الإخلاص والقبول.

هل يوجد ما يضمن الصداقة؟ لا، ولكننا نحتاج إلى التخلص من حلم أنه يمكننا ضمان أي شيء في مجال العلاقات، فلا يوجد "ست خطوات سهلة للحصول على صداقة سعيدة وصحية، فقد يحقق مثل هذا التفكير الكثير من مبيعات الكتب أو المجلات، ولكن لا يوجد أي ضمان في مجال العلاقات.

لا يمكنك قراءة كلمات سي. إس. لويس عدة مرات.

ولكن بالنسبة للمسيحي لا توجد فرص. فقد قال المسيح لتلاميذه: "لستم أنتم اخترتموني بل أنا اخترتكم". يمكن أن ينطبق هذا الكلام على كل جماعة الأصدقاء المؤمنين. "لم تختاروا بعضكم البعض ولكنني اخترتكم من أجل بعضكم البعض"، فالصداقة ليست مكافأة نتيجة تميزنا أو ذوقنا في اكتشاف بعضنا البعض، ولكنها الوسيلة التي يعلن بها الله لنا جميعاً جمال بعضنا البعض، فلا يوجد أعظم من الصفات الجميلة في آلاف الرجال، ويفتح الله لنا أعيننا على هذه الصفات من خلال الصداقة، فهي مثل كل الأمور الجميلة التي يشبعنا بها، فهي الصداقة الجيدة التي يزيدها من خلال علاقة الصداقة نفسها. لهذا فإن الصداقة هي الوسيلة التي يستخدمها الله في الخلق وفي الإعلان.

قدمت راعوث لنعمى سخاء القلب الذي تحول إلى جزء من تاريخها الشخصي، فبابها المفتوح لحماتها وصديقتها لم يأت بلا ثمن، لكنه تطلب وقتاً طويلاً من الاختيارات المقصودة، وللآن لا يوجد عندي أي انطباع أن نعمى سعت لتلك

الصداقة ولكن عندما شعرت راعوث بذلك فإن بابها كان مفتوحاً دائماً..

أسئلة للدراسة

١- هل تشبه راعوث أم نعمى في صداقاتك؟

٢- ما معنى "الانتماء" بالنسبة لك؟ وكيف تسعى للحصول عليه في علاقاتك؟

٣- مع من تتعانق قلبياً؟ هل لديك مجموعة من الأصدقاء الذين تثق فيهم للغاية؟

ناقش فكرة أن الصداقة ما هي إلا نتاج ثانوي لفعل آخر أكثر قيمة. هل توافق؟ لماذا نعم؟ أو لماذا لا؟.

(٤)

شخص ما لا يعرفه أحد

"لا يستطيع أحد أن يجد حياة كاملة دون أن يشعر أن هناك على الأقل شخصاً واحداً يفهمه"

بول تورنير ***Paul Tournier***

صديق يتعلم كيف يستمع

تحدثت مع شخص ما في أحد الأمسيات لأول مرة في حياتي، وأحسست أنه يتخفى خلف قناع رقيق ليقابلني، ولكن سرعان ما ظهر السبب الحقيقي وراء المقابلة، فأعلنه قائلاً: "قد يبدو هذا جنوناً لأن الناس يعتقدون أنني أملك كل شيء، ولكني لا أستطيع تحمل الوحدة، إذ أنني أقابل مئات الأشخاص كل يوم وأتحدث معهم، ولكني لا أعتقد أن هناك من يهتم بحياتي".

ذكرتني كلماته بأغنية من الستينيات تقول: "لا أحد يعلم"، إن الشعور بالوحدة ليس أمراً غريباً، ولكننا نختبره جميعاً، حيث أن هذا الشعور من أكثر الأسباب التي تؤدي إلى الانتحار في عصرنا الحاضر، إلى جانب أنه يساهم بشدة في الشعور بالألم العاطفي. ويمكنني وصفه بأنه يشعرك بأنك غير ذي قيمة. فهذا

الشعور بأنه لا يوجد من يهتم بحياتك هو شعور رهيب لا يمكن وصفه. حيث توجد في مكان مزدحم بالناس من حولك، ولكنهم يهملونك بسبب وجود شيء آخر أكثر أهمية لهم.

هل يمكن التعرف على هذا الشعور العميق الذي تمر به؟

ليس جيداً...

في سفر التكوين أصحاح ٢ الأعداد من ١٨-٢٠ تظهر المشكلة، ويُظهر عدد ١٨ تقييم الله للخليقة. ولأول مرة في قصة الخليقة كلها يقول الله: "ليس جيداً". "ليس جيداً أن يكون آدم وحده. فأصنع له معيناً نظيره".

لماذا يحتاج الرجل إلى معين؟ لأنه ليس كاملاً في نفسه، ولماذا أعلن الله أنه ليس جيداً للإنسان أن يكون بمفرده؟ لأنه ليس كاملاً في نفسه، ولا توجد امرأة كاملة في نفسها، لقد خلق الله الإنسانية من أجل إقامة العلاقات، ومثل هذه العلاقات المشبعة لم تظهر بعد، فقد كان الإنسان وحيداً ولا يوجد من يعرفه أو يعينه على التعامل مع مشاعره.

لا تسيء فهمي، فأنا لا أساوي بين العزوبية وبين شعور آدم بالوحدة، فالعزوبية ليست ثاني أفضل اختبار بالنسبة للإنسان، فهي بالنسبة للبعض هبة روحية من الله، ولكن شعور آدم بالوحدة له علاقة وجودية بشعوره بعدم الارتباط بأي شخص آخر ليكون رفيقه.

وفي عدد ١٩ نرى أن الله بدأ يتعامل مع المشكلة، فأحضر الحيوانات إلى آدم ليطلق عليها أسماءها وليتعرف عليها، واحتاج آدم إلى قضاء وقت معها ليدربها ويطلق عليها الاسم المناسب. ولكن مثل هذا النوع من العمل والعلاقة لم يملأ الشعور بالفراغ الذي يشعر به الإنسان، فقد كان الله يرى في الإنسان أنه مخلوق حي فيه صفة المرافقة، وعندما نكون بلا أصدقاء أو رفقاء، نشعر بالوحدة.

إن الشعور بالوحدة مشكلة صعبة ومنتشرة، فيواجه العديد من طلبة الجامعة مشكلة الشعور بالوحدة خاصة بعد التخرج حيث ينتقلون من حياة الجماعة إلى حياة الفردية، ففي شهر مايو كان هناك أصدقاء في المبنى الجامعي، وفي الفرق الدراسية، وفي مجموعة دراسة الكتاب، وفي المعسكرات حيث يوجد الكثير من الأصدقاء الذين يتقابلون طوال اليوم. ولكن يأتي شهر يونية ويتفرق هؤلاء كل إلى منزله حيث يعيشون بمفردهم في مدينة مزدحمة. كيف يمكن أن يكون لي أصدقاء جدد؟، هذا أمر صعب، أين نتقابل مع الناس وخاصة المؤمنين؟.

يدخل الآخرون في صراع "الشخص الوحيد الأعزب/ الأصدقاء المتزوجون وهو صراع يدور داخل عضو الجماعة الوحيد غير المتزوج، ***كيف يمكنني مواصلة صداقاتي في حين أن كل أصدقائي السابقين أصبحوا أزواجاً أو زوجات؟***

يعيش البعض الآخر في محيط العمل مع أصدقاء أصغر أو أكبر لا تتوافق مراحل حياتهم معه، فأنت في الخامسة والعشرين وتعمل كأصغر عضو في المكتب

ولكن الآخرين إما متزوجون أو مطلقون، آباء أو أجداد. فهل تحيا بمفردك. وقد مللت مظهر العازب. ***هل تعتبر الحانات أو مجموعات العازبين في الكنائس هي المكان الوحيد الذي تستطيع أن تجد فيه الأصدقاء؟***

كيف يمكنك أن تنمي علاقاتك بالمعارف الذين قد يتحولوا إلى أصدقاء مقربين؟ قد يبدو أن المبدأ الكتابي الثالث هو أبسط الإجابات، وفي الواقع قد يكون أكثر المباديء الكتابية السبعة ارتباطاً بفكرة الصداقة، ***فالصديق هو الذي يتعلم كيف يستمع،*** إذ إن الباب الوحيد المفتوح في وسط الشعور بالوحدة هو باب الأذن التي تستمع.

اجتاز أيوب المتاعب والألم، وحزن لفقدانه عمله وأسرته وثروته ووضعه وسلطانه. أخبرنا الكتاب المقدس بقصة أيوب بأسلوب يوجهنا نحو الشعور العميق بأنه شخص متألم. ولكن لم يكن أيوب بمفرده في وسط الألم، فقد كان له أصدقاء يأتون لزيارته في وسط الحزن، أصدقاء يعرفونه جيداً ويبدو أنهم يهتمون به للغاية، فلم يتركوه يعاني بمفرده فأتوا ليكونوا بجانبه ويعينوه. ولكن تأمل في تلك المعونة:

- أتوا برؤيتهم وأعطوا أيوب فكرة مسبقة عن الحق (أيوب ١١:١-٢٠).

- بدأوا بداية جيدة بالسكوت لمدة سبعة أيام، ولكنهم تحدثوا بعدها عن رؤيتهم لحياته (٣٢: ١-٩).

- تحدثوا بما يدور في أذهانهم وأخبروا أيوب أنهم يريدونه أن يستمع (٤: ١-١٠).

- ***حكموا*** عليه بأنه خاطيء ومتمرد (٣٥: ١).

- أعطوه ***نصائح محفوظة*** أكثر من أفكار لمساعدته (٣٥:٨).

- ***أدانوه*** بسبب حزنه ***الصادق*** (١٥: ١-٦).

ما هو احتياجنا الأكبر؟

أتى أصدقاء أيوب إليه بجدول أعمالهم وكسروا القانون الأول للصداقة الجيدة ألا وهو أن يعرف الصديق كيف يستمع، وقد يكون من الأفضل أن نقول إن الصديق هو من يتعلم كيف يستمع.

ما الذي يحتاجه الناس بشدة من الصديق؟ ليس من الصعب إظهار هذا. اسأل نفسك، ***ما هو أكثر شيء أحتاجه من صديقي؟ هل أحتاج إلى أفكاره ووجهات نظره وآرائه؟ هل أنا في حاجة إلى تفسيراته فيما يتعلق بحياتي ومشكلاتها؟ أم هل أحتاج إلى استماعه لي أكثر من أي شيء آخر؟*** فنحن نحتاج أكثر إلى القبول، والصدق، والتشجيع، والأذن المستمعة. ***فالأصدقاء يجب أن يتعلموا كيف يصغون.***

الأذن المستمعة واحدة من أعظم القوى الموجودة في الكون، عندما أستمع إليك

أكرمك، وعندما أستمع إليك أقبلك كما أنت، وعندما أستمع إليك أعتز بكلماتك وأفكارك، فتخلق الصداقة المستمعة مكاناً سخياً لشخص آخر، وعند هذه المرحلة أتيح لك مساحة حرة حيث يمكنك أن تشعر بالأمان والترحاب.

في ترجمة NIV لرومية ١٥ : ٧ نقرأ: "اقبلوا بعضكم بعضاً كما قبلكم المسيح، في حين تستخدم ترجمة NRSV لغة السخاء إذ تقول: "مرحبين ببعضكم البعض كما رحب بكم المسيح من أجل مجد الله". كتب أحد الكتَّاب: "هذا هو أساس الصداقة والأساس الحي لأي علاقة إنه "ال ق ب و ل". تعال كما أنت، فأنا أحبك، أنا معجب بك وسأفعل لك أي شيء، لا يوجد ما تفعله ليبعدني عنك. هذا النوع من الاستماع أكثر من مجرد أن يكون سخياً مهذباً.

كيف يحدث مثل هذا النوع من الاستماع؟ كيف يعمل؟ ألا نعلم جميعاً كيف يكون الاستماع جيداً؟ بالتأكيد لا! فالاستماع فن يخبو في عالم من الضوضاء المستمرة، حيث تنتشر الكلمات، المجبرون أن نسمعها.

جلست مع عائلتي على منضدة في أحد المطاعم المشهورة، لنحتفل بتخرج أحدهم وقضاء بعض الوقت معاً حول مائدة الطعام، وبدلاً من ذلك تجاهل بعضنا البعض بسبب شاشات التليفزيون المنتشرة في كل أرجاء المطعم فتفرض علينا الكلمات.

تنتشر الضوضاء الصاخبة في كل مكان فتدمر العلاقات تدميراً كاملاً، تعد

عبارة "اسمعني" دعوة ملحة في كل مكان نذهب إليه. كتبت ماري روز أوريلي Mary Rose O'Reilly:

إن الحياة الحديثة بضجيج موسيقاها، ومعاهداتها التجارية، وجذبها وشدها وإنجازاتها وتقييم أدائها تدربنا على أن تكون مهمتنا هي محاولة مستمرة لاستبعاد أشياء أكثر من أن نكون مشغولين لقبول أشياء ، فهناك الكثير لنسمعه، ولكن القليل يستحق الإنصات، ففي مثل هذه البيئة التي تتسم بالمبالغات الزائدة، فإن الالتزام بقضاء وقت للإصغاء يُعد خبرة أساسية في مجال الصداقة.

الإصغاء أساسي

ربما مررت بأوقات تأكدت فيها من أنه لا يوجد من يصغي لك، فقد حدث معي هذا. فلا نحتاج إلى شخص يستمع من الناحية الحسية فحسب ولكننا نحتاج إلى أن ينصت إلينا أحد ما، نحتاج أن نعلم أن ما نقوله لا يتم تفسيره بطريقة غير ناضجة ولكننا بحاجة إلى أن نأخذ الفرصة لأن نقول الحق كما نراه.

يوافق ستيفن. أر. كوفي Stephen R. Covey على هذا ويُعرِّف واحدة من "سبع عادات تؤثر على الناس بشدة" كوسيلة للاتصال العاطفي ألا وهي "اسمح أولاً أن تفهم الناس ثم أن يفهموك".

عندما يتحدث شخص، عادة ما يتم الاستماع إليه على مستوى واحد من هذه المستويات الأربعة، إما أن نتجاهله ولا نستمع إليه كلية، أو قد نمارس ***التظاهر***

بالاستماع: "نعم.. هذا صحيح"، أو قد نمارس فن ***اختيار ما نسمع***، فنسمع أجزاء معينة من الحديث... أو قد ***نمارس الإصغاء*** أي نعيره كل انتباهنا ونشحذ كل طاقتنا للكلمات التي يقولها الآخر. ولكن قليلين منا يصلون إلى المستوى الخامس وهو أعلى مستويات الاستماع وهو ***الاستماع العاطفي***.

الاستماع العاطفي يعني أنني أحاول الاستماع جيداً لدرجة أني أحاول الدخول إلى عقلك لأرى ما تراه، فأفرغ نفسي من المفاهيم المسبقة عن حالك وأجعل كلماتك ترسم لي الصورة، فالألوان التي في يدك ستخلق لي الأشكال التي سأتعلم رؤيتها.

يفي الاستماع العاطفي بالهدف الأساسي للاتصال، إذ إنه ينقل المعنى بين شخصين، فهو أحد الخطوات الأساسية نحو تعميق الصداقة، هل "يحل" "مشكلة" الوحدة أم يعيد الشعور بالألم نتيجة الرفض؟ لا يسعني إلا القول إنه يفتح الباب نحو الشفاء.

كتب بروس لارسون Bruce Larson كتاباً منذ عدة سنوات يحمل عنوان "No Longer Strangers" "لم نعد غرباء"، حيث اقتبس قصيدة كتبها ابنه عندما كان في الرابعة عشرة، وهي صرخة واضحة نحو هذا النوع من الاستماع:

أهلاً أيها العالم الخارجي،

أنا هنا

ألا تراني؟

ماذا؟ هل تواجه صعوبات لكي تسمعني؟

لكنني هنا.

نعم هذا صحيح.

داخل نفسي، بالطبع.

الصَدفة الخارجية سميكة للغاية،

لا يمكنني الخروج.

من أنا؟ أنت تقول إنني لست نفسي؟

ذلك لأنك لم تسمعني من قبل.

من هذا الآخر؟ إنه الصَدفة التي أخبرتك عنها.

أنت تقول إنها أنا؟

لا أنا في الداخل،

فهي فقط لحمايتي.

(٤) شخص ما لا يعرفه أحد...

حماية مما؟

منك أيها العالم.

لا يمكنك أن تؤذيني هنا.

ألست ترى أن صَدفتي تجعلك بعيداً.

أنت أيها العالم لست إلا ألم.

أنا آمن هنا داخل الصَدفة،

لن تضحك عليَّ.

الصَدفة؟ إنها لا تعبأ بالضحك.

تعال فكر في الأمر

أنا مرتاح في الداخل.

لماذا أرحل؟

أهلاً أيها العالم. هل مازلت تصغي لي؟

ما هذا أيها العالم؟

اعتقدت للحظة أنك قلت شيئاً.

كان صوت يخبو،

يبدو وكأنه صوت إنسان على ما أعتقد.

أعتقد أنه يجيبني.

ربما لا.

لا يمكنني أن أسمع جيداً داخل هذه الطبقة.

حسناً أشعر بالمرح، والنعاس،

أنا مرتاح جداً هنا أيها العالم.

يعد الإصغاء إلى شخص آخر عمل مقدس. فبه نقدم مكاناً مرّحباً وآمناً في وسط هذا الخوف والألم. فكلمات "بطرس" دقيقة لأنه لا يعلم ما هو احتياجه، هو يعلم إنه يحتاج إلى أن يسمعه آخر ولكنه اكتشف أنه قد يكون في غير مأمن أن يسمعه آخر ثم يرفضه. فالصديق الذي يمتلك أذناً صاغية يعتبر وسيلة لخلق الأمان اللازم لنفسياتنا وعواطفنا.

كيف نستمع للآخر؟ نستمع مصلين ومهتمين ومحضرين للحق الذي يظهره لي، فالاستماع الجيد يحتوي على أمرين يتفاعلان معاً ألا وهما: ***المهارات والاتجاه.***

المهارات الأساسية

يعلمنا المنهج الدراسي الخاص بالمدخل إلى الاتصال مهارات محددة لفن

الاستماع:

- الاستماع يتطلب التركيز.

- الاستماع يتطلب التغذية الاسترجاعية التي تُظهر فهمك لما يقال.

- يعد الاستماع مهارة لمتابعة أفكار الآخر واهتماماته ومشاعره.

- يبدأ الاستماع بمهارة الاتصال التي أتصل بها معك، ومع موضوعك ووسائلك.

- يسعى الاستماع إلى الفهم، فالاتصال ينقل المعنى.

- الآذان الصاغية تساعدها العيون الشاخصة، ففي العالم الغربي يعد النظر دليل على الاستماع الجيد.

- الاستماع هو جزء أساسي من السخاء الوفير.

الاتجاه الأساسي

يمكنك تعلُّم هذه المهارات، ولكنها تعتمد على اتجاه السخاء الذي أدعوك إليه وأرحب بك كضيف لي. فيعتبر استخدام ***مهارات*** الاستماع دون ***الاتجاه*** برغبة حقيقية نحو الآخر شكلاً من أشكال الاستغلال. فالإصغاء فعل ناتج عن السخاء الذي أرغب أن أدعوك إليه.

تختفي الاختلافات عندما يتقابل اثنان مثل فرعي نهر وينضمان إلى بعضهما البعض في صداقة، فبدلاً من التصادم العنيف يمكن أن تتكون وحدة من الانسجام في الحياة التي تتسم بالتباعد والاختلاف، فتتحول القصتان إلى واحدة عندما يجد كل من الشخصين الآخر، ويكتشفان أنه بدلاً من الاختلاف يمكن للصداقة أن تجمعهما في خط واحد مشترك.

كنت أنا وأحد أصدقائي مختلفين للغاية، إذ أنه تسرب من المدرسة الثانوية وأصبح عاملاً في مشغل، في حين كنت أنا متخصصاً في مجال التعليم الأكاديمي. وكان هو أمامه اختيارين كشاب: إما الالتحاق بالجيش، أو العودة إلى سجن الأحداث. وكنت أنا فتىً طيباً ومواطناً ملتزماً بالقانون. وقد ذهب صديقي إلى حرب فيتنام في الوقت الذي كنت في أحد معسكرات الكلية أطرح الأسئلة وأتصارع مع السياسات الخاصة بالحرب في جنوب شرق آسيا. كان هو لا يمتلك مستوى متقدماً من الأخلاق واللغة، أما أنا فقد عشت معظم حياتي في إطار الكنيسة. وكان صديقي يريد أن يتزوج من فتاة تعيش في شارع قريب منا حيث كنت أخدم في كنيسة صغيرة. ولم تكن محادثاتنا الأولى مبشرة، فلم أتأثر بحديثه، وكذلك هو، وقد أبعده عدم أمانته عن الكنيسة لشهور طويلة إلا أنه كان متعطشاً للحق، وكان يحبني ومستعد أن يفعل أي شيء ليجعلني أتمم مراسم زواجه.

ولا يمكنني أن أخبرك بكيفية حدوث هذا، ولكن يمكنني أن أقول لك إنه بمرور الأيام والأسابيع والشهور والسنين كنا نحيا معاً كجيران وأصبحنا إخوة، وتشاركنا في حبنا للمعسكرات، لكن بالرغم من الاختلافات بيننا فإن صديقي وصل إلى مكان المعسكر ومعه سيارة على شكل منزل مملوءة بكل المعدات الكهربائية وأطعمة تكفي كتيبة كاملة، بينما نامت أسرتي في خيمة. وتقابلنا في موعدنا الساعة السادسة صباحاً لمدة ثلاثة أيام لنرتب أنفسنا لنتسلق الجبال، ولنجري خمسة أميال معاً نقضيها في الحديث في أمور هامة. ولم يكن الجري مشجعاً ولا جدول الصباح الباكر محفزاً. ولكن تناول القهوة والحديث معاً عقب الجري كان كافياً ليدفعني للاستيقاظ لنكون معاً معظم الوقت.

وأقمت مراسم الزواج لصديقي وعمَّدته هو وزوجته. وبعد زواجهما أنجبا بنتين قمت بتعميدهما. وقمت بدفن جدة الزوجة. قضينا وقتاً طويلاً في أحد الأيام نتقاذف كرات الثلج النازلة مع المطر، وقضينا ساعات نضحك معاً. وكان أولادنا يقضون وقتاً طويلاً في حديقتي منزلينا وحجرات المعيشة، وكانت حياة كل منا متداخلة مع الآخر.

وفي أحد الليالي اتصلت بي زوجته في وقت متأخر لتخبرني أن هناك حادثاً في المشغل، فقد كان أحد العمال يقف في خط التجميع ليصلح إحدى ماكينات الخياطة المعطلة، إلا أنه سقط وقُطعت أجزاء من قدميه، ولم أكن على معرفة

بالعامل، ولكني أعرف صديقي وصاحب المشغل، لهذا أسرعت إلى المستشفى لأكون معه، وكان صديقي مع زوجة العامل في المستشفى يصلي معها من أجل زوجها بأصدق كلمات الإيمان التي لم أسمعها من قبل، وكان هادئاً هدوءاً أدهشني.

ثم توجهنا إلى منزله ورأيته يكشف عن مشاعره ببطء، فقد تذكر حرب فيتنام بسبب عنف الحادث ومنظر الدم، حيث فقد الكثير من أصدقائه في الحرب. وقضينا ليلة طويلة مؤلمة معاً، وأخبرني كيف حصل علي ميداليته العسكرية كما تكلم عن المخاوف التي يحملها إلى هذا اليوم.

كنت أستعد للانتقال من منزلي منذ عامين من هذه المقاطعة إلى أخرى، وحضر صديقي الحفلة الأخيرة في منزلي وبدا أنه مضطرب وقلق، وأعطاني هدية كان لها أهميتها عندي، ثم أعطاني هدية أخرى صغيرة ووضعها في يدي وربت على كتفي وقال: "أحبك يا أخي" وخرج من المنزل والدموع تتساقط من عينيه، ثم شاركته البكاء. وفتحت الهدية، ولدهشتي وجدت الميدالية التي حصل عليها في فيتنام بين يديَّ.

يقول بولس: "وادِّين بعضكم بعضاً بالمحبة الأخوية" (رو ١٢: ١٠). تبدأ المحبة بالإستماع، وتظهر في الاستماع. يقول بولس في (١كو ١٣: ٤). إن "المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ"، بمعنى أن الاستماع طريق ذو اتجاهين.

وبمرور السنين استمعت إلى أسئلة صديقي بصفتي متخصصاً في الرعاية، وفي بعض الأحيان كانت هناك أوقات لسماع الموسيقى وإلقاء الأسئلة المتبادلة. لم نكن نبحث عن إجابات، ولكن كان يكفينا أن نسأل أسئلة منطقية، ولم نتفق مع بعضنا البعض في الرأي، ولكنه كان يستمع إلى أحلامي وأفكاري عن المستقبل، وكنت أستمع له أيضاً، وكانت حياتنا متداخلة أثناء الأوقات المشتركة التي نقضيها مستمعين لبعضنا البعض.

كيف تُفسِد صداقة؟

كنت على وشك أن أطلق على هذا الفصل اسم "كيف تُفسِد صداقة؟ "حيث إن الصداقات تفسد بسبب الأخطاء التي تشوب العلاقة مثل السلبية والأنانية ورفض الاستماع. وكان أصحاب أيوب أفضل مثال على ذلك، إذ عرفوا كيف يتدخلون في حياة أيوب، وكيف يدينوه بحرية شديدة.

أتى أصحاب أيوب إليه بدافع عظيم ألا وهو أن يساعدوا صديقهم في وقت الحزن والألم. واستمعوا إليه فترة الرثاء التقليدية، ثم حوّلوا آذانهم عنه وفتحوا أفواههم.

وكان أيوب هو المستمع، حتى إنه لم يستطع التحمل وانفجر فيهم غاضباً وقال: "هذا كله رأته عيني سمعته أذني وفطنت. ما تعرفونه عرفته أنا أيضاً. لست دونكم. ولكن أريد أن أكلم القدير وأن أحاكَم إلى الله. أما أنتم فملفقو كذب. أطباء

بطالون كلكم. ليتكم تصمتون صمتاً. يكون ذلك لكم حكمة" (أيوب ١٣: ١-٥).

ثم قال: "اصمتوا عني فأتكلم أنا وليصيبني مهما أصاب" (أي ١٣: ١٣). كانت صرخة أيوب كصرخة الحضارة المعاصرة اليوم التي تنادي بـ: "كل ما أريده حقاً هو شخص ما يصغي لي، فرصة لعرض قضيتي، فرصة لكي يصغي لي شخص ما". فحولنا أصوات كثيرة تطلب من أصدقائها أن يصغوا إليهم. كتب دوجلاس ستير Douglas Steere: "إن الإصغاء إلى شخص آخر بمزيد من الاقتراب أعظم خدمة يقدمها إنسان لآخر".

كيف يمكن أن تُفسِد الصداقة؟

- لا تسمع.
- امتلك وقت صديقك.
- تغيَّر واطلب المزيد واعط القليل.
- تعلَّم إخفاء مشاعرك الحقيقية وضع قناعاً على عواطفك.
- خادع فلا تظهر شخصيتك الحقيقية.
- لا تتجاوب مع خلع الأقنعة الذي يبدأه صديقك، فلن تستمر تلك العلاقة غير المتوازنة التي يتصف فيها شخص واحد بالوضوح دون الآخر.

(٤) شخص ما لا يعرفه أحد...

حوار بين شخصين

عندما تستمع إليَّ فأنت تحرر قلبي، وتسمح لي بالدخول إلى قلبك أيضاً. نتعلم أن نتشارك الطريق معاً، ذلك الطريق الذي سيقودنا إلى قلب الله.

هناك شخصان كان معروف عنهما أنهما أفضل صديقين ارتبطا معاً، فلأكثر من عشرة أعوام عملا معاً، وكان أحدهما من أصل أفريقي والآخر من أصل أوروبي وتشاركا معاً في الخدمة في الكنيسة وعاشا معاً حياة حافلة بالرؤى وأيضاً المتطلبات والضغوط الكثيرة، رغم أن كل شيء كان يبدو أنه ضد نجاح عملهما وعلاقاتهما مثل مسألة اختلاف الجنس والصراعات الاقتصادية والتوقعات والحياة نفسها. لكن ما الذي ربطهما معاً في نفس الطريق وما الذي ساعدهما على الحفاظ على صداقتهما في عالم يزداد صراعاً؟ تحدثا عن مبدأ ***القصد*** في كتابهما: "***إزالة الجدار: نموذج على المصالحة في عالم من الصراع العرقي***". فقد سمعتهما مؤخراً يصفان استراتيجيتهما في الاستماع الجيد، فكانا يذهبان في رحلة معاً خارج المنزل كل شهر ليقضيا الصباح في الحوار معاً، فيفرغا نفسيهما من جدول الأعمال حتى لا يزعجهما أحد في برنامجهما، ويتقابلان لتنقية الأجواء وإخبار الآخر بالحق، ويضعان آلامهما وإحباطاتهما على المائدة حتى يستطيعا السير معاً بأذرع متعانقة، فيثقا في بعضهما البعض من جديد. وقد سمعتهما مرات عديدة يقولان: إن مفتاح صداقتهما هو الأمانة والأذن المستمعة.

قد يكون جوهر مبدأ السخاء هو الاستماع إلى شخص آخر يخبرك بالحق، فأدعوك إلى عالمي، لا لتكتشفه أو لتنافسني، ولكن لأرحب بك. ففي أحاديثنا تتحول عبارة "شخص لا يعرفه أحد" إلى "أن تصبح شخص محبوب جداً" كما عبر أحدهم قائلاً:

"لا يشتمل قبولنا للغريب بطريقة ما أن نصبح ***"لا أحد"*** ولكن القبول الحقيقي يتطلب المواجهة، لأن المساحة يمكن أن تكون مساحة مرحبة فقط عندما تكون هناك حدود واضحة. والحدود هي التحديدات التي تحدد مكاننا.. فالبيت الفارغ لا يعد بيتاً سخياً.. عندما نريد أن نكون أسخياء حقيقيين لا يجب علينا قبول الغرباء فقط، بل مواجهتهم بطريقة واضحة، وعدم إخفاء أنفسنا وراء الحياد ولكن نظهر أفكارنا وآرائنا وأسلوب حياتنا بوضوح، فلا يمكن إقامة حوار حقيقي بين أحد ولا أحد".

أسئلة للدراسة

١- قس لنفسك مهارات الاستماع في درجات تتراوح ما بين ١:١٠ على أساس ١٠ = ممتاز.

٢- اطلب من ثلاثة من أصدقائك قياس مهارات استماعك بنفس المقياس وقارن بين الدرجات التي أعطيتها لنفسك والدرجات التي حصلت عليها.

٣- استرجع وقتاً كان هناك شخص يصغى إليك، ما الذي جعل هذا الوقت

مميز بالنسبة لك.

٤- استرجع وقتاً قريباً طلبت فيه من شخص أن يستمع إلى شيء مهم ولكنه لم يهتم، واعمل مقارنة بين مشاعرك نحو هذا الأمر، ومشاعرك نحو السؤال السابق.

٥- اكتب قائمة تحتوي على ثلاث مهارات من مهارات الاستماع التي تعلم أنك ستعمل على أن تتحسن.

كرِّس نفسك لعمل هذه الأمور في الأسابيع القادمة.

(٥)

فصول الصداقة

"ننتقل من مرحلة إلى أخرى وهناك ما يدفعنا

للأمام وما يجذبنا للخلف"

كين جبير ***Ken Gire***

"الصداقات تتغير وهذا ليس أمراً سيئاً"

سكوت برسي ***Scott Pearcy***

للصداقات فصول

يعد الوقت عنصراً محيراً في العلاقات.. ما هو الوقت؟ كيف يمكنك تعريف هذا "الشريك غير المرئي" في كل العلاقات؟ تمر الدقائق في التتابع الزمني الذي لا يمكن إنكاره، ولكننا نعلم أن حركة الوقت إما سريعة أو بطيئة، هل "يجري" أم يتباطأ، "يسبق" أم "يتراجع".

يمتلك اليونانيون حكمة الكلمات المعبرة عن الخبرات المختلفة، ومنها عبارة للوقت "*Chronos*" وتعني المعاني البسيطة للدقائق والساعات والأيام والسنين، فالتقسيم الزمني هو تعاقب لفترات الحياة، ويمكن أن نطلق على الساعة أداة لقياس الزمن بدقة، حيث يمكننا بها قياس الوقت الذي يمر. أما تعبير ***Kairosim***

هو تعبير يوناني عن الوقت الحافل بالمعنى، الواضح بعمق حيث يحمل مضامين غزيرة، فمثلما يوجد "دقائق للتعلم" عندما يكون استعدادنا للتعلم "جاهزاً"، توجد "دقائق للاستعداد" في "أزمنة الأصدقاء"، حيث تكون المناقشات حية للغاية، فهناك أيضاً دقائق غنية عندما يتقابل الناس مع بعضهم البعض لإنعاش الحياة التي تنطوي على شيء أكثر من مجرد مرور الدقائق والساعات.

جلس أربعة منا في كافتيريا حيث كنا نقضي وقتاً معاً، ونستمتع باستراحة قصيرة من الدراسة المكثفة، وكانت القهوة جيدة والفاكهة التي اختتمنا بها المأكولات شهية. ولكن الحديث بيننا كان بمثابة مكافأة غير متوقعة. أتمنى لو أنك أمضيت أوقاتاً مثل هذا الوقت الذي أمضيناه معاً، فقد وجدنا أسئلة عامة وأرضية مشتركة في المسائل الروحية التي أقامت تواصلاً بيننا، فتحدثنا وسمعنا الآخرين ورحبوا بتبادل القصص. ففي وقت قصير حفرنا أماكن عميقة في تاريخ كل منا، وتخيلنا مكانة أعمق في مستقبل كل منا. فعندما انتشر الدفء في الحجرة، أصبحت للمناقشة وعاء يحمل دفء النعمة للدقائق التي نقضيها في شركة غنية.

تمر دقائق "Chronos" مجرد مرور أما دقائق "Kairos" فهي مثل كوب ماء كبير ولذيذ بالنسبة للمسافر العطشان يشربه على مهل، ويستغرق وقتاً في احتسائه. تمر الدقائق بسرعة، ولكنها تظل عالقة في ذهن صاحبها، فهي الدقائق التي يعطي فيها الأصدقاء وقتاً لبعضهم البعض وهم على دراية تامة بسحرها أو

معناها. وعندما أنهينا ليلتنا معاً تذكرت أين كنا، ذكَّرت أصدقائي بهذا الوقت والمكان.

اللحظات والساعات في العلاقات تكوِّن معاً "فصول الزمن"، فقد تحولت تلك الخبرة النادرة في الكافتيريا التي كانت تُسمى Uncommon Ground والتي تعني "أرضية غير مشتركة" إلى "أرضية مشتركة" تقع في مجال العلاقات -في الزمن-. ولا تتشابه كل أوقات الصداقة مع تلك الأمسية التي قضيناها، فمثل هذه اللحظات مناسبة للاحتفال والتقدير للوقت. ولكن مازال مفهومي أن الاتجاه الدائم الحضور -على الرغم من أنه غير مرئي في كل علاقة- هو الوقت. فقد يتطلب تفهمك لمعنى الوقت في العلاقة نوعاً من أنواع التمييز الحكيم، فقد تغنَّى كاتب سفر الجامعة بأغنية شعرية تكشف المعنى الذي ألهمه به الله عن سلسلة من الأبيات الشعرية التي لا يمكن نسيانها.

"لكل شيء زمان ولكل أمر تحت السموات وقت. للولادة وقت وللموت وقت. للغرس وقت ولقلع المغروس وقت. للقتل وقت وللشفاء وقت. للهدم وقت وللبناء وقت. للبكاء وقت وللضحك وقت. للنوح وقت وللرقص وقت. لتفريق الحجارة وقت ولجمع الحجارة وقت. للمعانقة وقت وللانفصال عن المعانقة وقت. للكسب وقت وللخسارة وقت. للصيانة وقت وللطرح وقت. للتمزيق وقت وللتخييط وقت. للسكوت وقت وللتكلم وقت. للحب وقت وللبغضة وقت. للحرب وقت وللصلح وقت" (جا ٣: ١-٨).

فلا يصف الشاعر "الحياة الحقيقية فحسب" ولكنه يدعونا لنشارك في لحظات Kairos في أحداث الوقت الغنية مثل الولادة والزرع والحصاد والحزن والفراق والطلب والدموع والصمت والحب والموت والبناء والضحك والرقص والاجتماع والفقدان والحديث والكراهية وصنع السلام. إن ذلك النص يعتبر قصيدة متألقة لأنها قصيدة إنسانية كتبها شخص عاش فترة طويلة تكفي للبرهان على أهمية الوقت. فهناك أزمنة للحياة –أو كما يقول– "وقت" والذي يمكن أن نسميه فصولاً زمنية.

وقد تجسدت خبراتنا المتميزة في أزمنة الصداقة، فإذا استمرت الصداقة لوقت طويل فستكون هناك أزمنة كثيرة ربما تكون كل الأزمنة التي كتب عنها الشاعر ***"تحت السموات"***. ويشجعنا المبدأ الكتابي على النظر برؤية طويلة الأمد إلى أن ***هناك أزمنة للصداقات***.

تنطوي الصداقات على أزمنة للخصوبة وأزمنة للنمو وأزمنة للانتعاش، وأيضاً أزمنة للانحطاط والضعف، فهناك أوقات للعواصف حيث يكون هناك اضطرابات في الهواء وكذلك أزمنة لشروق الشمس وصفاء السماء. فلا يمكن قياس العلاقات بتراكم الدقائق، فهي ليست مثل أوقات Chronos بل مثل أوقات Kairos التي تتجمع معاً في حقيقة الأزمنة. ومع الوقت تتغير الصداقات، أحياناً بالتدفق الطبيعي لتاريخنا الشخصي والتحولات، وأحياناً بسبب الأزمات أو الألم أو الغضب، فقد تنحصر وقد تزداد مثل جذر ومد المحيط. يتغير الناس مع مرور

الوقت، كما تتغير الصداقات أيضاً إذ أنه **يوجد *للصداقة وقت*.**

تصادقت فتاتان في المدرسة الابتدائية، فلم تنفصلا وعاشتا مع بعضهما كأختين، وكانت صداقتهما عميقة وغنية وبدا وكأنها غير قابلة للتغيير، ولكن بمرور الوقت تفرقا وفقدا الرابطة التي ربطتهما عبر السنوات. وأعادا اكتشاف شخصيتهما وعادا إلى علاقتهما التي بدأت منذ خمس وثلاثين عاماً. وقد رأت بولا رييل Paula Ripple أن فصول العام تتشابه مع مراحل "أزمنة الصداقة".

فالربيع وقت لتجديد الصداقة، فهناك متعة في مشاركة الأصدقاء الجدد، وفي اكتشاف بعضهم البعض. وعندما تكون الصداقات جديدة، تكون عملية الاكتشاف مفتوحة، ويبدو أن الصداقات الجديدة أسهل في استمرارها، لأنه لم يكن هناك خبرة مُرة سابقة أو فشل أو صراع أو برودة في العلاقة. إنه وقت يشعر فيه المرء أنه توجد حياة وأنها تنمو. ولهذا يصبح هذا الفصل وقتاً للأمل.

أما الصيف فهو وقت إشراق الشمس والنمو، فكما أن الصيف بعد الربيع وقت للزرع، فإنه وقت "دعها للتواجد" و "دعها النمو"، فهناك إحساس بأنك سوف تكون مع صديق قادم.

أما الخريف فهو وقت للتغيير. فكما يخبو دفء الصيف استعداداً لبرد الشتاء، فإن هذا الوقت في الصداقة هو وقت للشعور بالوحدة، "فنادراً ما ينمو شخصان بنفس الأسلوب وبنفس المعدّل. فهناك شعور بعدم الأمان عندما يحدث النمو في

مكان جديد بالنسبة لي وغير معروف بالنسبة لصديقي.

والشتاء وقت يفتقر إلى اللون إذ إنه مملوء "بالسكون" والذكريات، فهو وقت يعكس الهدوء عندما يختبر الأصدقاء الحكمة ومكافآت الاستثمار الجيد في الفصول الأخرى.

ويُعد الوقت الاستعارة الكتابية التي يستخدمها الشاعر للتحولات الكثيرة التي تحدث في الصداقات. وأود في هذا الفصل توضيح ذلك المفهوم الكتابي الذي ينادي بأن ***هناك أزمنة للصداقة***.

أزمنة البدايات

تبدأ الصداقات وتنتهي وقد تبدأ مرة أخرى بطرق مثيرة لا يمكن التنبوء بها، لقد تأملت مؤخراً في تطبيق تعاليم يسوع الخاصة بأربعة أنواع من المحاصيل على أربعة أشكال من الصداقة التي أعرفها جيداً، فيتحدث يسوع في إنجيل متى (١٣: ١-٩) عن مصير البذور العديدة بعدما تصل إلى يد الفلاح.

- يقع البعض في الطريق وتأتي الطيور لتأكلها.
- يسقط البعض على الصخور حيث تزهر سريعاً، وتموت عندما تخنقها الشمس نتيجة للتربة الضحلة.
- يسقط البعض بين الأشواك وينمو بسرعة، ولكن تخنقه الأشواك بسرعة إذ

تنمو بجواره.

- ويقع البعض في التربة الجيدة حيث يتغذى وينمو ويأتي بحصاد عظيم.

ومما يدهشني أن الكثير من صداقاتي تشابهت مع ما يحدث لتلك البذور الأربع.

- كانت بعض هذه العلاقات بمثابة مقابلات بالصدفة "على الطريق"، ولم تبدأ فعلياً. كانت هناك الرغبة والإمكانية لو تتعدي مجرد اللقاء العابر، فقد حدثت أمور أخرى وقضت على إمكانية وجود مثل هذه الصداقة.

- ازدهرت بعض هذه العلاقات بسرعة وكانت تحمل وعوداً كبيرة، ولكن لم تُعط لها العناية اللازمة لنمو العلاقة وتعمقها، فقد ظلت ضحلة ومات الوعد بنفس سرعة مولده. أو أنها أتت في أوقات عصيبة عندما كانت الظروف صعبة للغاية لدرجة إنني لم أستطع الترحيب بأي شيء جديد، حين كانت القشرة الخارجية تقاوم كل احتمالية جديدة.

- تنمو بعض الصداقات بسرعة، لكنها تختنق بكل الظروف الشائكة حيث الانشغال بأعباء الحياة ومشكلاتها، مما لا يعطي مجالاً لنمو العلاقة الجديدة. في بعض الأحيان تكون تلك الأشواك أشياء مهمة وحسنة إلا أنها تضعف طاقتي وتستهلك وقتي لتكوين علاقة مثمرة ومنتجة.

- وتجد بعض العلاقات القليلة طريقها نحو العمق والتربة الخصبة، حيث يمكن

الاعتناء بها وتغذيتها وريها، والتي يخرج منها حصاد "ثلاثون وستون ومئة". هذه هي العلاقات التي تمت رعايتها والاعتناء بها عبر أزمنة النمو، والتي أثمرت صداقات طوال الحياة، وهي أفضل أنواع الصداقات.

أزمنة النمو

جلست مع مجموعة من الأصدقاء لتناول البيتزا وقضاء الأمسية في تبادل الحوار. قال الصديق الأول: أمضيت إجازة رائعة في نهاية الأسبوع، دعوني أقص عليكم ما حدث. اصطحبت صديقاً آخر وقابلت اثنين من أصدقائى القدامى اللذين استمرت صداقتي معهما لثلاث سنوات أو أربع. فتركنا الفندق الذي كنا نقيم فيه حيث قضينا وقتاً مملوءاً بالمتعة لأننا معاً، واجتمع شملنا مرة أخرى، ولم ننفق مليماً واحداً إلا في الطعام.

فسألته: "لماذا؟ ما الذي جعل هذا الوقت رائعاً؟ ماذا فعلتم؟

فأجاب: "قضينا نهاية الأسبوع نتكلم ونتشارك في توصيل الحق الذي بيننا".

اندهشت! إذ كنت في حاجة إلى سماع القصة كاملة، حيث إن "الوصول إلى الحق الذي بيننا" يحتاج إلى أسلوب آخر للحديث عن مبدأ "خلع الأقنعة" الذي تطرقنا له في الفصل الثاني.

وأكمل قائلاً: "الحق إن هذه العلاقات نمت لأن يسوع كان في الوسط، لهذا اقتربنا إلى بعضنا البعض بأسلوب لم يحدث من قبل، فمنذ عدة سنوات قضينا

إجازة نهاية أسبوع مماثلة، ولكن كل ما فعلناه كان سياحة. أما الفرق الذي حدث فهو أنهم تعلموا في المرة الثانية كيف يتشاركون "بما في قلبهم" مع بعضهم البعض وكانوا سعداء بكونهم أصدقاء ولا يتظاهرون بأداء واجبات الأصدقاء وحسب.

في بداية المواسم تكون الحوارات حول تبادل المعلومات أسلوباً آمناً وهادئاً يؤدى إلى خلع الأقنعة حتى تحدث المحادثات الأعمق. ولكن لا يمكن أن تتعمق الصداقات إذا ظلت المحادثات ضحلة. تحتاج الصداقة إلى وقت، ربما يحدث أن نبدأ بسرعة ولكن لا يمكن أن نحثها على مزيد من السرعة. إذا أردنا نمو الصداقات العميقة فيجب ألا نقتطع الوقت المخصص للمشاركة. قد نبدأ بسرعة في صداقة شخص آخر، ولكن سنكتشف أن الصداقة تتطلب أوقاتاً وأزمنة.

أزمنة التحول

كان هناك صديقان حميمان في المدرسة الثانوية وتخرجا معاً وقضيا وقتاً معاً في النزهات، لقد كانا مرتبطين للغاية وشعرا بقيمة العلاقة لفترة، ثم تزوج أحدهما فصارت علاقتهما غير متماسكة، وكان هناك حاجة إلى بذل مزيد من الجهد، حيث بدأ الصديق غير المتزوج يشعر بالإهمال.

إن هذا الوقت حرج في فترة الصداقة، وقت مرير بالنسبة للبعض. فيتعلم بعض الأصدقاء كيف يجعلون التغيير من العزوبية إلى الزواج تغييراً لكل منهما،

ولكن البعض لا يفعلون ذلك، إذ يختار البعض أن يقللوا مساحة صداقاتهم ويهتموا أكثر بدورهما سواء كانوا أزواجاً أو زوجات.

كيف يمكنك أن تُحدث التحول من العزوبية إلى الزواج؟ لا توجد إلا إجابة واحدة، يجب أن تعمل على نجاح هذا الأمر. يجب أن تتواصلا مع بعضكما البعض، فتقطعان مسافة لتعترفا بأن علاقتكما اختلفت. يميل "الأصدقاء المقربون" إلى افتراض أن أزمنة التحول لن تحدث في حياتهما عندما يتزوج أفضل أصدقائهما. فالزوج يحاول أن يربط زوجته بطباعه ووقته وحبه. فإذا كان للزوجة صديقة فهي لا يجب أن تتوقع أن الزوجة سوف تقضي معها مثلما كانت تفعل قبل زواجها. فالتغيرات جزء طبيعي من الحياة ***فهناك أزمنة للصداقات***.

"دعنا نتقابل" لها أثر رائع. وقد ينجح البعض في فعل هذه التغيرات إذا توقعوها قبل الزواج، ثم يتقابلان معاً لبحث الواقع بعد مضي عدة أشهر من الزواج. فيخبرنا المبدأ الرابع بأن التغيرات لا تحدث بسهولة لأنها صعبة، وفي بعض الأحيان مؤلمة، وعادة معقدَّة إلا أنها لا يجب أن تؤخذ على أنها خطيرة فهناك ***مواسم للصداقة***.

كيف يمكنك مواجهة تحول أفضل أصدقائك العُزَّاب من صديق عازب إلى صديق متزوج؟

١- تحدَّث عن الأمر، لا تفترض ببساطة أنك ستتقبل الأمر بمضي الوقت،

ولكن اعملا على إنجاحه وتحدثا أكثر فيه.

٢- فكرا في توقعاتكما وتحدثا عنها، تُفقد علاقات الصداقة وتؤذى المشاعر عندما لا يُعلن عن التوقعات.

٤- حددا وقتاً واقعياً يمكن أن تتقابلا فيه.

٥- كن واقعياً. ستحدث التغييرات لكن التكيف معها قد يستغرق وقتاً.

٦- قد يكون على الصديق المتزوج الأخذ بزمام المبادرة إذ قد يشعر بعض العُزَّاب بالخجل من التدخل في حياة أصدقائهم المتزوجين.

أزمنة التغيير

"*الصَدَقَة الكبيرة*" عنوان فيلم سينمائي يصور مجموعة من زملاء الدراسة القدامى يحاولون أن يقرروا في أي موسم تقع صداقاتهم. فيحاول البعض أن يستعيدوا ما تركوه، والبعض سبق أو تخلف عن الباقين، في حين يعيش الآخرون على ذكريات الأيام القديمة.

كانت هناك أغنية موضوعها "أيام المجد" تعبر عن ذلك النوع. فقد كانت تتحدث عن شخص يحيا في الأيام القديمة في المدرسة الثانوية أو الجامعة، ولم يتعلم أن يتقدم مع الأزمنة المتتالية. إن اجتماع زملاء الفصل الدراسي القديم معاً في بعض المناسبات يعتبر أسلوباً تقليدياً للاستسلام لعواطف الماضي. قد تكون أوقاتاً رائعة

لمراجعة أزمنة الصداقة ومساعدة الأصدقاء على تخطيها والتقدم إلى الأمام. هناك شيء كان واضحاً بعد إجازة نهاية الأسبوع التي يتحدث عنها فيلم "الصَدَقَة الكبيرة"، لقد تغير الناس وتغيرت العلاقات.

هذا هو الواقع: إن الأصدقاء يتغيرون والصداقات تتغير أيضاً، لن تكون كل صداقة مستمرة طوال الحياة بعمقها وطولها. فقد تكون بعض الصداقات روابط للناس الذين عملوا معاً في نفس المكان أو عاشوا لفترة من الوقت معاً في نفس البلدة أو أقاموا في نفس المبنى، وبعض هذه الصداقات قصير وبعضها قد يستمر طول الحياة، ولكن التوقعات تلعب دوراً كبيراً في مشاعرنا نحو هذه العلاقات. هناك بعض الأشخاص يتعلقون بأي علاقة إنسانية، كما لو أن حياتهم تعتمد على هذه الصداقة، كما لو أن كل إنسان يُرى على أنه "أفضل الأصدقاء".

نحتاج أن نكون أمناء حين نتحدث عن أزمنة التغيير في الصداقة، قد ينقسم طريق الحياة أمامنا، وقد تقودنا رحلة كل منا إلى أماكن مختلفة، فهناك مناطق نرى فيها أصدقاء رائعين ينحرفون غرباً حين نتجه شرقاً. قد تنحصر صلواتنا دائماً في ضرورة الرجوع لنفس الأصدقاء، ولكن الله قد يختار مصيراً آخر لأصدقائنا.

افترقت وصديقي بعد أن اشتركنا في الخدمة لمدة ست سنوات. وبقى هو واتجهت أنا إلى مكان جديد وخدمة جديدة. وقد افترقنا دون أن نعلم هل سنتقابل

مرة أخرى لنعمل معاً ونخدم معاً أم لا. كنت أعلم أن القرار بمثابة خطوة جديدة بالنسبة لي، وقد تكون خطوة صائبة. ولكني كنت أشعر بحنين إلى العمل المشترك الذي تعودنا عليه من قبل. وبعد مضي سنة واحدة وقفنا معاً على نفس الأرضية في اقتسام الخدمة معاً، فجمعتنا العناية الإلهية معاً مرة أخرى على آلرغم من مرورنا بموسم معين من التغيير.

ماذا لو أن طفلاً وقف ليشاهد صديقه يستقل سيارة العائلة وينتقل إلى مدينة جديدة أو إلى حي جديد في نفس المدينة، وإلى شقة جديدة وأصدقاء جدد؟ فأصبح الانتقال اليوم أكثر حدوثاً من الاستقرار، والتغيير ليس سهلاً حيث يتسبب في الألم، إلا أن هناك فرحاً ومتعة في كل علاقة. أقتبس عن هيلين كيلر Helen Keller قولها: "مع موت كل صديق كنت أحبه.. كان جزءاً مني يُدفن معه.. ولكن مساهمتهم في سعادتي وقوتي وفهمي تساندني في عالم متغير".

أزمنة الافتراق

عندما قررت الرحيل عن دائرة أصدقائي الذين أحبهم بشدة، ذهبت لأتمشى في مكاني المفضل. وجلست في إحدى الأمسيات لأفحص اختياراتي واحتمال فقدان أصدقائي، فقد تقابلت في الليلة السابقة مع بعض هؤلاء الأصدقاء لأخبرهم عن عرض الوظيفة وأحصل على نصائحهم "ماذا أفعل؟"، "أي طريق ستظهر فيه مواهبي أكثر؟"، "هل يمكنك أن تراني أحصل على خدمة مؤثرة للملكوت الله في هذا

الدور الجديد؟". لقد أكدوا على الإجابة التي تشكلت داخلي بالفعل: نعم يجب أن أذهب، على الرغم من أن هذا معناه أنني سأتركهم، فقد كانوا أمناء في الاستماع إلى صوت الله وأخبروني بما سمعوه.

والآن أقف على الشاطيء وأشعر بسرعة الإثارة ممتزجة مع الخوف من هذه التغيرات. نظرت إلى أسفل ولاحظت حركة الجذر والمد. فعندما يكون الموج في طريقه نحو الشاطيء، فإنك تشعر أنه في داخله يعود وخارجه يذهب. تتشابه ظاهرة المد والجذر مع الصداقات التي تنمو وتزدهر ثم يحدث الانفصال في بعض الأحيان. كتب خليل جبران: "عندما ترحل عن صديقك لا تحزن لأن أفضل ما تحبه فيه يتضح في غيابه، مثل الجبل الذي يظهر بصورة أوضح بالنسبة للمتسلق عندما يقف في السهل".

عندما نتعلم الاعتراف بمرور أزمنة الحياة، يمكننا تعلم الاحتفال بالتغييرات ونراها كمعبر لحياة أغنى. تنطوي التغييرات على ثلاث مراحل مميزة ألا وهي الموت، والاختلاط، والحياة الجديدة. فهناك نهاية مثل الموت لأنها تخلق خسارة وقد تكون نهاية العلاقة. هناك عادة وقت للاختلاط والألم والتشويش والحزن الذي قد يكون وقتاً مميزاً للتغيير، حيث ستأتي أوقات الحياة الجديدة والصداقات الجديدة، فهذا شكل آخر من أشكال السخاء، فلكي تتحرك نحو الأمام يجب أولاً التحرك عبر أزمنة التغيير والرحيل.

أزمنة السخاء وفقدانها

"لا تنسوا إضافة الغرباء لأن بها أضاف أناس ملائكة وهم لا يدرون (عبرانيين ١٣ : ٢)، تنص قواعد رهبنة نظام سانت باندكيت في الفصل ٥٣ "لنقبل كل الضيوف كما لو كانوا المسيح لأنه سيقول كنت غريباً وقبلتموني"، مرة أخرى يثبت مفهوم السخاء صورة حية للتغييرات الحتمية التي تحدث في كل الصداقات.

كلمة صداقة باللغة الألمانية هي ***Gastfrundschaft*** التي تترجم حرفياً الصداقة "للضيف". فكِّر فيما تفعله قبل وصول الضيف ليقضي معك بعض الوقت. ما هي الخطوات التي تأخذها لتستعد لاستقبال زائر مهم؟ يقدم المضيف الجيد مفاتيح معينة لفهم أزمنة السخاء وتقييم أزمنة الرحيل "صداقة الضيف" تشتمل على أربعة أنشطة محددة:

تنظيف المنزل: أول شيء نفعله في المنزل هو تنظيفه، فتقول إحدى السيدات: *يجب أن نعرف أنفسنا جيداً، والأركان المظلمة والأماكن غير جيدة التهوية في حياتنا، والأماكن التي نجمع فيها التراب والتي يبدأ فيها العفن في النمو، لا يكفي إزالة النفايات وغلق الباب وإغلاق المصابيح حتى لا تظهر القذارة، على الرغم من أن هذه خدع مغرية للعناية بالمنازل والنفوس. كلا، فإنه يجب أن ننظف المنزل ثم نحافظ على نظافته ليكون لنا مكاناً مناسباً نستطيع أن ندعو إليه الآخرين للراحة والانتعاش.*

الدعوة والترحيب: "ندعو شخصاً ما إلى مكان نقدم له فيه الأمان والحماية وننحي جانباً احتياجاتنا، حيث نركز كل انتباهنا على راحة هذا الضيف وإنعاشه. هذه هي "الضيافة المرحبة". بمعنى آخر فإن صداقة الضيف:

- يجب أن يكون هناك وقت ومساحة للدعوة والترحيب والأمن والأمان ضد المقاطعة.

إعطاء وقت: فنختار أن نفسح مكاناً في جدول أعمالنا، طاقتنا، استماعنا، وحبنا. ونختار خلق مساحة مفتوحة ونتركها فارغة لأجل الضيف.

التأكيد على الثقة: يجب أن يشعر الصديق بالأمن ضد أحكامنا عليه وأسراره ونقده ورفضه في أي موضوع. ويجب ألا ننسى أن أسرار الناس غالية وعلينا التعامل معها بكل احترام.

الاستماع وقول القصص: تشتمل الضيافة على وقت لقول الحكايات، وتتطلب استماعاً منتبهاً دون تدخلات بآرائك أو اهتماماتك التي تتعارض مع اهتماماتهم وآرائهم، يمكن للمضيف الجيد أن ينحي جانباً احتياجاته للاستحواذ على الحديث ويستمع إلى قصص الضيف واحتياجاته.

وبالطبع سرد الحكايات هو نوع من أنواع الحوار، ولكن عندما نسرد حكاياتنا يجب أن نكون حريصين، فيجب مقاومة إغراء المبالغة في حكاياتنا، إذ نقول مثلاً: "الوقت ملكك دعنا نتحدث عنك أولاً". فمهمتنا كمضيفين هي الاستماع المنصت عن

طريق دعوة الضيف إلى سرد حكاياته حول المدفأة أو العشاء أو على فنجان من القهوة أو تناول البيتزا. ويمكننا بعد الاستماع الجيد والهادف أن نبدأ في الإشارة إلى رؤيتنا الجديدة، ونشارك ببعض القصص الخاصة برحلاتنا في الحياة عبر نفس الطريق.

ملاحظة الحدود: وأخيراً تهتم الضيافة السخية بأن الضيف سيكون "لنا" لفترة قصيرة، لذلك يجب أن ندعه يرحل إلى المحطة التالية لرحلته. فلا يجب أن تنتهي الصداقة، ولكن قد تقل المشاركة الفعالة في أمورالحياة اليومية أو تتوقف.

وتلاحظ المضيفة الجيدة أنها لا يجب أن تُبقي على الشخص في منزلها للأبد، فقد يرغب هذا الشخص في الانتقال إلى المحطة التالية أو المكان أو المرحلة التالية من حياته. فالضيافة تعني السماح بحدوث تغيرات مختلفة في العلاقة، ولذلك يمكن للشخص الآخر الانتقال عندما يحين وقت الانتقال.

قالت لي إحدى صديقاتي: "لقد تعلمت ذلك الأمر بعد عدة اختبارات مؤلمة مع الناس. فقد تتغير الصداقة وهذا شيء جيد، فلا يجب عليّ التعلق بكل صديق كما لو كان التغير معناه أننا فشلنا في علاقاتنا. فهذا أمر عادي، فكما تحركنا الحياة إلى الأمام سيختبر أصدقاؤنا التغيير، ولذلك يجب أن يعلم المضيف السخي متى يحين وقت الوداع، ويساعد على الانتقال إلى الخطوة التالية.

أزمنة الإنهاء

متى تعلم إنه وقت الإنهاء والتقدم نحو الأمام؟ أعتقد أن الخطوة المهمة هي أن يخلع أحدكما الأقنعة ويسأل أسئلة واضحة عن العلاقة، بذلك يسمح بأن تعرف فيما إذا كانت هذه الصداقة تستحق الاستثمار أم لا، ويتطلب تقييم الصداقة إجابة بعض الأسئلة الصعبة، وبعض هذه الأسئلة يبعث على الشعور بالقلق:

- هل الأمر يستحق بذل المزيد من مواردي (الوقت والطاقة)؟
- هل يستحق المغامرة؟
- هل ترى مستقبلاً مشتركاً في العلاقة؟
- هل أتعلق بالأوقات القديمة ولا أميز أنه وقت البيع لإعادة استثمار الموارد في مكان آخر؟
- ما هي الأسباب الوجيهة التي تدعو إلى إنهاء العلاقة، أو على الأقل الاعتراف بحدوث تغيير؟

أولاً: المكان العام الذي بدأت منه العلاقة بدأ يتغير، ولن يعود كما كان (على سبيل المثال، تخرجت أو حصلت عى وظيفة جديدة أو تزوجت).

ثانياً: هناك عادات توجهك في العلاقة، فما كان يجلب لك الفرح والشعور بالرضا من قبل أصبح مملاً.

ما هي الأسباب السيئة التي يجب عندها إنهاء العلاقة؟ يعتقد بعض الناس أن التصادم في ذاته هو دائماً أمر خاطيء، ولكي يتجنب الشخص الإحباط فهذا ليس سبباً كافياً لإنهاء صداقة، بالإضافة إلى أن التغيرات الشخصية أو التحولات هي لحظات واضحة لاتخاذ قرارات جذرية. وأخيراً قد يكون الاهتمام بتطوير الصداقة وقتاً قيماً لإنهاء الصداقات القديمة، فقد تشير غرابة الجديد إلى أنه قد حان الوقت لإعادة استثمار المزيد من الجهد في القديم.

ومع ذلك فإن الافتراق يجب أن يكون ضمن السياق الطبيعي للحياة في الكثير من العلاقات، ويصفها كين جير (Ken Gire) بقوله وداعاً:

"فعند الانتقال إلى منزل جديد، يجب أن نودع المنطقة السكنية القديمة والأصدقاء القدامى والذكريات القديمة، وعند إنهاء مرحلة الدراسة الجامعية كان يجب أن نودع منزلنا وعائلتنا، وعند الزواج يجب أن نضحي بشيء من استقلاليتنا، وعند البدء في عمل معين يجب أن نترك خلفنا الجامعة والأوقات الخاصة والأصدقاء المميزين وشعورنا بالأمان، وعند بداية تكوين عائلة يجب أن نطوي صفحة الحياة الهادئة وغير المعقدة التي كنا نحياها حين كنا زوجين بلا أطفال، وعند الحصول على ترقية يجب أن نترك خلفنا وظيفة أحببناها أو ربما مدينة أو ولاية. وعندما يلتحق أولادنا بالجامعة أو بعمل معين أو يصبح لهم عائلاتهم فهناك شيء غالٍ نفتقده عند رحيلهم لا يمكننا أو يمكنهم العودة إليه، إلا من خلال القصص والألبومات".

فنحن ننتقل من مرحلة إلى أخرى، وهناك شيء ما يدفعنا للأمام وشيء ما يجذبنا للخلف.

أسئلة للدراسة

١- كيف تتجاوب مع مفهوم "أزمنة الصداقة"؟

٢- هل يمكنك تحديد الزمن الذي تمر به مع أحد أصدقائك؟

٣- ما النصائح الأخرى التي يمكنك أن تضيفها إلى قائمة التحولات التي تحدث في حياة أفضل أصدقائك عند الانتقال من حالة الصديق العازب إلى المتزوج؟

٤- ما الذي تعلمته بشأن ترك أصدقاء لك؟ هل أنت هذه التعاليم نتيجة لخبرات مؤلمة؟

٥- ما هي التحولات الحديثة التي صنعتها في إحدى علاقاتك المهمة؟

(٦)

الحديد بالحديد يُحدَّد

"حلمت بمقابلتها طوال حياتي.. صديقة
مثمرة.. صديقة حميمة كما تعلم، روح شقيقة..
يمكنني أن أئتمنها على نفسي"

لوسي مونتجومري Lucy Moud Montgomery

التشجيع المتبادل مفتاح العلاقات السليمة

هناك ملف لا أفتحه إلا نادراً في درج مكتبي، ولكن عندما تكون هناك ضرورة ملِحَّة أغلق باب المكتب وأفتح هذا الملف، وعندما يخرج هذا الملف لابد وأن يكون الاحتياج عظيم والنتيجة مؤكدة. فهذا الملف مملوء بالملاحظات والكروت والخطابات والمذكرات التي أرسلها لي كثيرون عبر السنين. فعندما أشعر بأنني لست على ما يرام أو أشعر بفقدان الثقة أو الاحتياج إلى القوة، أتجه إلى هذا الملف حتى أحصل على الشجاعة. فحتماً سيجعلني أضحك أو أبتسم فأشعر بأن معنوياتي مرتفعة.

ستيف مور (Steve Moore) يعتبر أحد أصدقائي المفضلين المشجعين الذين عرفتهم، فلا يكتفي بقوله: "حافظ على عملك الصالح الذي تقوم به" ولكنه يبدي ملاحظات مثل: "فكر فيما تشعر به عندما تحصل على ملاحظة كهذه":

"كيث، فقد كانت مقدمة عظتك اليوم مدهشة، فقد كنت هادئاً ومرحاً، ولم تترك أي شيء يهرب منك. فإن كاتب سفر يعقوب سوف يُسَرّ. فشكراً لأنك قدمت لنا الحق، وخاصة عندما قدمت لنا الفكرة الرائعة التي كلفتك كثيراً لتقولها".

قال كاتب سفر الأمثال: "الحديد بالحديد يحدَّد والإنسان يحدِّد وجه صاحبه" (أم ٢٧: ١٧). هذا هو مبدأ التشجيع المتبادل وهو المبدأ الكتابي الخامس الذي ينادي بأن ***التشجيع المتبادل يعتبر مفتاحاً للعلاقات السليمة.***

من أفضل الأشياء التي يمكن فعلها لشخص أحبه هو كلمة تشجيع. عندما أشجعك أقول لك: ***"أنت مهم بالنسبة لي فأنا أقدِّرك وأكرمك"***، ويمكن أن يكون التشجيع مكتوباً: "في ملحوظة أو كارت" أو ملموساً في "معانقة أو ابتسامة" أو رمزياً "في هدية". بمعنى آخر يمكن أن يكون التشجيع شفاهة أو مرئياً، ولكن رسالته تصل إلى أعماق روح الشخص أو نفسه إلى أن يتغير.

قد يتشارك كثيرون في اسم "برنابا" الذي يعني حرفياً: "ابن التشجيع". كان برنابا مشجعاً بالنسبة لبولس إذ كان جريئاً، ووقف بجوار بولس حتى قبل أن يعرف أحد أن الله اختاره ليقوم بمهمات كبيرة على مستوى العالم. لقد أتى ببولس إلى العبادة حين كان الجميع يعتبرونه عدواً، وطلب من الجمع أن يرحبوا به كأخ، ووقف مرة أخرى بجوار يوحنا مرقس عندما اختبر الفشل فخرج واحتاج إلى العودة إلى الجماعة مرة أخرى. فقد كان به روح السماحة نحو بولس، وكان

مدافعاً عن نعمة التشجيع.

ظللت لسنوات أعتقد أن برنابا هو أعظم مشجع، فهو يقف وحيداً ليشجع الآخرين وذلك نتيجة لصلاح قلبه، ورأيت في السنوات الأخيرة أن اسم برنابا يشتمل على مفتاح مصدر قدرته العظيمة على التشجيع، لأنه ابن التشجيع. فهو شخص امتلأت حياته الشخصية بالتشجيع من آخر، ربما كان هذا الآخر هو والده. وقد أدركت الكنيسة الأولى صفة أو موهبة التشجيع في برنابا، وأطلقت عليه هذا الاسم. لقد أتى برنابا بشيء لبولس ولآخرين، من خبراته الشخصية. هل يمكنك أن تحدد شخصاً واحداً في حياتك كان يقدم لك التشجيع؟

إن تشجيع شخص آخر يعني إعادة تعبئته بالشجاعة التي خبت، فتعيد ملء الخزانات الفارغة بوقود جديد وطازج من التشجيع، فهذا هو معنى كلمة تشجيع. وعندما تقارن كلمة تشجيع بعكس معناها وهو التثبيط فإن معناها يتضح أكثر، فالتثبيط هو أن تفرغ الخزانات المليئة بالشجاعة.

اثنتان من أفضل قائدات الطلبة أعطياني هدية رائعة عقب تخرجهما، فقد تولّت الفتاتان فترات العبادة العامة في معسكرنا، وقادتا البرامج الأساسية لمدة عام بأكمله مما كان له أثر كبير على مجتمع الكلية، وكانت هديتهما لي صورة أخذاها في حفل التخرج، وأفضل جزء في هذه الهدية هو الكلمات الأربع المحفورة أسفل الإطار: ***"شكراً لأنك وثقت فينا"*** .

(٦) الحديد بالحديد يحدَّد

ما الذي خلق فيهما هذه الاستجابة؟ عندما بدأت هاتان الفتاتان العمل كقائدتين، كانتا تتمتعان بمواهب موسيقية رفيعة، وبسجل حافل بالقدرة على القيادة، وكانتا مولعتين بمهمتهما. ولكني لم أدرك الأمر إلا بعد حصولي على هديتهما، وشعرت أنهما كانتا لا تثقان بقدراتهما، ولكني أنا كنت مؤمناً بهما وواثقاً فيهما، وقد أخبرتهما بذلك. فالتشجيع يعطي الثقة المفقودة. ويعني التمكين إذ إنه يحفِّز الناس للأمام بأسلوب فريد. يقدم الأصدقاء تشجيعاً مقوياً لبعضهم البعض.

التشجيع هو ذلك الصوت الذي يقول "نعم" عندما تقول الحياة "لا"، فهو قوة محفزة يمكن التعبير عنها بكلمات بسيطة مثل: "يمكنك القيام بهذا، أو إنني أثق فيك"، أو "كنا وراءك طوال الطريق". فيعطينا التشجيع خليطاً غنياً بالوقود، ويدعم القوة، لأنه يخلط بين ثقتي وثقتك، ليخلق المزيد من الشجاعة نحو المخاطرة والجرأة والمغامرة.

كانت "كيري سترج" "Kerry Sturg" في أولمبياد صيف ١٩٩٦ وراء حصول فريق الجمنيزيوم للسيدات على الميدالية الذهبية، إذ إنها قفزت القفزة الأخيرة والشجاعة، في حين كانت قدمها تؤلمها للغاية. وقد أعطتها قدراتها إلى جانب ثقة زملائها في الفريق ومدربيها ووالديها، المزيد من البطولة.

هل التشجيع نوع من أنواع الخداع المتبادل حيث يخبر شخصان بعضهما

البعض بما يعتقدان أن الآخر يود سماعه؟. التشجيع ليس تملقاً، فعندما أتملقك أخدعك بمعلومات خاطئة بدلاً من أن أمكِّنك بالحق، والتملق هو أن تعطي مجاملات فارغة أو كاذبة. أما التشجيع فهو أن أحدثك بالحق لأني أحبك، فتتطلب الصداقة تغذية الأمانة والحق الذي يتسم بهما التشجيع.

قول الحق يصنع الصديق

أؤمن أن الله يريد أن تكون الكنيسة بمثابة مجتمع من المعلمين المخلصين، ومجتمع من الأصدقاء الذين يعلمون جيداً كيفية نطق كلمات التأييد والاعتراض، وإنني أفضل اختيار كلمات التأييد أكثر من كلمات الاعتراض، ولكني أدرك جيداً أن كلاهما مطلوبان لعمل المعلم وللصداقة. وقد أدركت مؤخراً أن كليهما يمثل جانباً من جانبَي التشجيع. ومن المشجع إنني وجدت أن الكتاب المقدس يقدم صوراً عديدة للتأييد والاعتراض.

نتقابل في سفر أستير مع مردخاي عم الملكة أستير، ومردخاي نموذج مثالي عظيم لجماعة المؤمنين، وللصديق المعلم المخلص. فقد كانت هديته لأستير وشعب إسرائيل أنه وجد طرقاً لدعم وتأييد قريبته، فقد أخذها جانباً وفوضها بكلماته ***"ربما تكون لكِ كرامة ملكية لمثل هذا الوقت"***. وعاملها كبالغة صغيرة ومتمكنة، ولم يخبرها بماهية واجبها ولم يمل عليها كل خطوة يجب أن تأخذها لكي تنقذ شعبها لكنه اعترف بقدرتها على التفكير.

فهو لم يحاول أن يجعلها تثق في نفسها وحسب، ولكنه وضع أمامها تحدياً يتطلب معارضة القوانين، ووضع أمامها التحدي باستخدام سلطانها الجديد لتساعد شعبها، "ربما وصلت إلى هذا السلطان من أجل هذا الوقت". كان زمن أستير زمن الخطر العظيم لشعبها، فلم يكن لليهود أي امتياز مثل أهل مادي وفارس أي أنهم كانوا محرومين من مناطق النفوذ حتى أتت أستير، وأتى إليها مردخاي بكلمات التحدي.. كلمات تمتحن إيمانها، ثم حذرها قائلاً: ***"لا تفتكري في نفسك إنكِ تنجين في بيت الملك دون جميع اليهود لأنك إن سكتِّ سكوتاً في هذا الوقت يكون الفرج والنجاة لليهود من مكان آخر وأما أنتِ وبيت أبيك فتبيدون. ومن يعلم إن كنتِ لوقت مثل هذا وصلت إلى المُلك" (أس ٤: ١٣-١٤).***

الصديق هو من يمدنا بالتأييد عندما نحتاج إليه، وبالتحدي أو المعارضة عندما نحتاج إليهما، فالصداقة ليست تملقاً لنسمع الكلمات التي نود سماعها، ولكنها إخبارنا بما نحن في حاجة إلى سماعه. تحث كلمات مردخاي أستير الصغيرة لتأخذ موقفاً تعبر فيه عما يمكن وصفه بأنه أشجع تصريح في الآيات الكتابية: ***"فإذا هلكت هلكت"*** (أس ٤:١٦). لقد كانت مهمتها واضحة أمامها.

كيف أصبحت هذه المهمة بهذا الوضوح أمام الملكة أستير الصغيرة؟ أولاً عندما قدم مردخاي كلماته لها كمعلم ناصح، ثانياً عندما دعت أستير الآخرين ليشتركوا معها في الصوم والصلاة: ***"وأنا أيضاً وجواري نصوم كذلك"*** (أس ٤: ١٦). إن التشجيع ينبع من مجتمع الأصدقاء، فلا يمكننا أن نكمل هذا السباق

بمفردنا، ولا يمكننا أن نفعل العمل الذي أعطانا الله إياه بمفردنا. سمعت في إحدى المرات عظة اقتبست كلمات "سوزان جونسون" "Suzan Johnson" التي تقول: "نحتاج إلى الآخرين لكي يمشوا ويجروا معنا". هؤلاء الآخرون هم الأصدقاء الذين يرون أننا بحاجة إلى سماع الحق ويستمرون في ***تشجيعنا*** بكلمات الحق.

يخبرنا الأصدقاء بالحق فيما يتعلق بمن نحن، ويشجعوننا ويساعدوننا على النمو. قال أحدهم: هناك شخصان فقط يخبرانك بالحق: عدوك الذي يكرهك، وصديقك الذي يحبك. يخبرك عدوك بالحق ليجرحك، أما صديقك فيخبرك بالحق لكي تنمو. فالتشجيع هو إما أن تؤيد أو تعارض، تقبل أو ترفض، وهو نعمة الرجاء ونعمة النقد الأمين. ولكن التشجيع مبني دائماً على قول الحق، من هو الصديق الناقد في حياتك؟ هو ذلك الشخص الذي سيخبرك بالحق حتى يساعدك على أن تنمو. هل أنت بدورك صديقاً من تلك النوعية؟

كان أحد أصدقائي صديقاً ناجحاً على الرغم من أنه يصغرني في العمل بعشرين عاماً، إلا أنه كان طالباً مرتبطاً بطريقة ما بالأسلوب الذي أتبعه في التعليم. فقد حضر كل درس علَّمته، ووصفته بأنه حصل على نظام تعليمي مختلف عن الآخرين لأنه حصل في شهادته على الكثير من فصول المنهج الذي أدرِّسه، وكانت بيننا صداقة عميقة وقوية.

(٦) الحديد بالحديد يحدَّد

بعد انقضاء بعض الوقت في خلع الأقنعة من خلال المناقشات داخل الفصل والمقابلات غير الرسمية، قرر أنه يحتاج أن أكون معلِّمه الناصح. وبالتالي وضعنا شكلاً رسمياً لعلاقتنا، فعندما نتقابل في مكتبي كان صوتي بمثابة الصديق العجوز الحكيم الذي يصحح بآرائه حماقات الشباب، وأفترض أن هناك بعض الحق في الجملة التي قرأتها الآن. ولكن لكي أكون أكثر دقة وجدنا أنفسنا نقف على أرض مقدسة للتشجيع المتبادل، فتقابلنا أسبوعاً بعد الآخر لنتشارك بأحداث حياتنا ولنتواصل عبر اختلافات العمر والخبرة والتعلم، ولنكتشف أرضية مشتركة يمكننا أن نحولها إلى مساحة حرة بتشجيعنا المتبادل. ولكني كنت ومازلت رجلاً مشغولاً للغاية، ففي بعض الأحيان كان يفوتني الميعاد نتيجة لجدول أعمالي المشحون، وفي بعض الأحيان كنت أقول له إنه يجب أن نقلل الوقت الذي نمضيه معاً لأني مرتبط بمواعيد اجتماعات مهمة أو غير متوقعة.

وفي ذات صباح دعاني لنتقابل في موعدنا في حجرته، وأغلق الباب وقال: "لن أسمح لك أن تهرب أكثر من ذلك، لقد ارتضيت على أن ما نفعله هو أمر مهم، ولكنك دائماً تؤجله وتعامله كشيء أقل أهمية، ولن أسمح لك بالهرب من مقابلتنا هذه فيما بعد".

ولا أعتقد أني أقدمت على فعل هذا فيما بعد، فقد علمني خطأي من خلال قوة الاعتراض، فمعنى أن نقول نعم لبعض الأمور هو أن نقول لا لأمور أخرى، فإن لم نتعلم هذا في صداقتنا فحتماً ستفشل تلك الصداقة. فإذا قلنا "نعم" فحسب فلن

نترك شيئاً لنعطيه للآخر، وإذا قلنا "لا" سيكون لدينا متسع من الوقت والطاقة بلا أصدقاء. لقد علمني صديقي هذا الأمر لأنه كان يقدِّر كلماتي أكثر من تقديري لها وكان يأخذ معنى كلماتي بجدية أكثر مني. هل لديك شخص واحد على الأقل يخبرك بالحق حتى ولو كان مؤلماً؟

لا يكذب الأصدقاء الحقيقيون على بعضهم البعض، فالصداقة أهم بكثير من عدم الأمانة التي تتخذ شكلاً مهذباً. يدرك الأصدقاء الحقيقيون أن الحق هو مثل إشراقة الشمس والماء الذي يروي النباتات الصغيرة إذ إنهما تطعمانها وتعطيانها نمواً. فمبدأ اهتمام الأصدقاء ببعضهم البعض يتعرض للخطر حين يخفون الحق.

أحد معارفي كان يعمل محاسباً في شركة تمر بأزمة مالية حقيقية، وكان على دراية بمعلومات خاصة بموقف الشركة، ولكن رئيسه أخبره بضرورة إخفاء هذه المعلومات وحجبها عن الدائنين. وأخبر المحاسب أحد أصدقائه في اجتماع الصلاة: بصراحة "لا أعلم ماذا أفعل عندما يقولون لي إنه يجب أن أكذب".

أجاب الصديق: "بالطبع يجب ألا تكذب لأن الأمر لن يكون سهلاً بالنسبة لك كمؤمن إذ إنه ليس من ضمن اختياراتك الكذب أو الممارسات التجارية غير الأخلاقية. فإن لم تتمكن من أداء وظيفتك دون عبور هذه الحواجز فيجب أن تبحث عن وظيفة جديدة.

شعر بالحق في هذه الكلمات إذ إنها تتناسب مع الصراع الدائر حول

مصيره، وأصبح الطريق أمامه واضحاً. فحتى في وسط الأزمة كان ممتناً لوجود صديق مثل ذلك الصديق الذي شجعه بقول الحق.

ومن ناحية أخرى كره أحد الأصدقاء صديقه حين واجهه بالحق في موقف مشابه، فغضب بشدة وقال إن صديقه تخلى عنه في وسط أزمته بدلاً من أن يقف بجواره حين كان في أشد الحاجة له. وبعد مضي شهرين فُصل من عمله عندما تولى مدير جديد إدارة الشركة، ففقد صديقاً ووظيفةً بسبب غضبه وحماقته، فقد أخذ الاعتراض على أنه رفض بدلاً من أن يعتبره وسيلة تشجيعية له بقول الحق.

أنت تقدِّرني عندما تقول الحق

تخبرنا رومية ١٢: ١٠ "***وادين بعضكم بعضاً بالمحبة الأخوية. مقدمين بعضكم بعضاً في الكرامة*** . التشجيع وقول الحق وسائل تمكننا أن نكرم بها الآخرين ونقدمهم على أنفسنا. فهناك قوة في التشجيع لا تضاهيها قوة، إذ إنها تنقلنا حرفياً من الضعف إلى القوة، ومن الخوف إلى الإيمان، ومن الهزيمة إلى النصرة. يقول سي.إس. لويس C.S. Louis:

"أحمل آراءً ومعايير معينة وحدي بين مجموعة رفقاء غير متعاطفة، وأشعر بأنني نصف خجلان من الإفصاح عنها، ونصف شكّاك في سلامتها. ولكن ضعني مرة أخرى وسط أصدقائي وفي نصف ساعة أو عشرة دقائق ستصبح هذه الآراء والمعايير غير قابلة للجدال، فرأى هذه الدائرة الصغيرة وأنا فيها يساوي آراء

آلاف خارج هذه الدائرة. فبما أن الصداقة تقوى، فإنها ستظل تفعل هذا حتى في حالة بُعد أصدقائي.. فمن يتمتعون بصداقة أصدقاء حقيقيين يصعب استقطابهم ويصعب على السلطات الجيدة تصحيح آرائهم، وعلى السلطات السيئة إفسادهم.

يذكرنا "لويس" بأخطار الصداقة التي من الممكن أن تكون مدرسة للفضيلة أو للرذيلة ولكن قوتها غير قابلة للجدال. يمتلك كل فرد دائرة داخلية من الأصدقاء الذين يهتم بآرائهم جداً، ممن تجلب كلمات تشجيعهم شجاعة عظيمة له، إذ من الممكن أن تقودنا كلمات التشجيع إلى أفضل الطرق أو أسوأها.

حين كنت في الحادية عشرة من عمري انتقل طفل جديد إلى المنطقة السكنية التي أسكن فيها، وكان يبدو عليه اهتمامه الشديد بي، وبأفضل أصدقائي. لهذا سمحنا له بالانضمام إلى مجموعتنا الموجودة بالفعل. فكنا على استعداد أن نجعله يحاول عمل ما نعمله، فسمحنا له بمصاحبتنا في ركوب الدراجات، ولعب البيسبول في الأماكن المفتوحة.

وبدا أن صديقي يجيد التعامل مع هذا الصبي الجديد، ويضع الاختبارات المطلوبة لسن الحادية عشرة للانضمام إلى مجموعتنا. وكان بيني وبينه اتفاقاً متبادلاً وغير معلن عن ضرورة تقاسم القيادة في صداقتنا، مما أدى إلى حدوث نزاع خسرته في أحد المرات على الرغم من أنني صوبت له ضربتين وهو يرتدي القميص الملون والبنطلون الأبيض، ولم ينجح في إخراج بقع الحشائش من

قميصه. ومن ناحية أخرى لم يكن صديقي على دراية بالقواعد إذ إننا لم نتطرق في حديثنا إلى هذه القواعد من قبل، فلو علمها لما وافق عليها بل وضع قواعد خاصة به. ومع مرور الوقت ازدادت اقتراحاته التي بدأنا نشعر بأنها أوامر.

وازداد الأمر تعقيداً إلى أن وصلنا لمفترق الطرق حين أعلن صديقي أننا سنقوم بجولة في محال البقالة وقال: "دعونا نحصل على بعض الحلوى"، ولم ألحظ وقتها أنه لم يستخدم كلمة "نشتري" بل قال: "راقبوني جيداً فسأريكم كيف نحصل على الحلوى".

وعندما وقفنا في الصف علمنا قصده من كلمة "نحصل"، فرأيت ما جعلني أشعر بالعار والفضيحة وتغيرت حياتي حين رأيته وهو يسحب الحلوى ليضعها في جيب معطفه، فدق قلبي بسرعة وعنف حتى خُيل لي أن كل من في المحل يسمع دقاته.

وعندما خرجنا من المحل قال: "يمكنك أن تفعل هذا أيضاً"! وانضممت له سريعاً في تلك السرقات الصغيرة وتسببت صداقتي له في أني تخليت عن بعض القيم والمعتقدات الأساسية. واستمرت هذه الذكرى لسنوات، ولكن صداقتنا لم تستمر، فقد كان الأمر أكبر من مجرد المساومة إذ شعرنا بسيطرته علينا واهتمامنا به.

ساعدتني اختباراتي مع ذلك الصديق في إدراك أن الأصدقاء قد يقودون

الآخرين إلى الطريق الخطأ في مرحلة مبكرة. فقد يشعر البعض بالتشجيع وينبذ الخير، ويشعر البعض الآخر بوجود قوة في المساومة والخيانة. فالصداقة قد تشجعنا على اختيار الطرق الصالحة أو الطالحة.

اندهشت لقصة مجموعة من المؤمنين الذين خرجوا في أحد الأمسيات لمشاهدة فيلم سينمائي وتناول البيتزا. وبمجرد مرور دقائق قليلة من الفيلم أدركوا أنه فيلم عنيف وكئيب وإباحي وقد يفقدهم حساسيتهم الروحية. وأجمعوا على أنه لم يكن يستحق أن يضيعوا فيه وقتهم، ولكن لم يعلن أحدهم عن هذه الرغبة في المسرح حتى لا يكون هو السبب في إفساد الأمر على المجموعة كلها، بل ظلوا جميعاً صامتين. فاختاروا بهذا طريق المساومة الصامتة بدلاً من أن يكونوا بمثابة صوت الضمير لتشجيع بعضهم البعض على الحصول على الأفضل.

ظلت معظم الكنائس صامتة لعقود طويلة عن مواجهة قضايا العرْق والفقر، في حين كانت بعض الكنائس مستعدة لإعلان أن التسامح العرقي جزء لا يتجزأ من حياة الملكوت. ونطلق على هؤلاء الذين يقفون ضد تيار العمى الروحي والجمود الثقافي لفظ "أنبياء" لأنهم يتحدثون بكلمات الحق الكتابي. ففي بعض الأحيان تعد كلمات التشجيع بمثابة كلمات اعتراض نتحدث بها إلى هؤلاء الذين نقدِّرهم عن أمور نهتم بها، وقد تكون كلمات التشجيع بمثابة كلمات للتحدي لمساعدتنا على رؤية خطتنا سواء على المستوى الشخصي أو الجماعي. فالاعتراض والتأييد ليسا نقيضين إذ إنهما وجهان لعملة واحدة، أعني تلك الموهبة الغالية الممنوحة للضيف

والمضيف على السواء. ***فكر في هذه الآيات الكتابية:***

- "التوبيخ الظاهر خير من الحب المستتر" (أم ٢٧: ٥).
- "أمينة هي جروح المحب وغاشة هي قبلات العدو" (أم ٢٧: ٦).
- "اغضبوا ولا تخطئوا لا تغرب الشمس على غيظكم" (أف ٤: ٢٦).
- "ولكن قبل كل شيء لتكن محبتكم بعضكم لبعض شديدة لأن المحبة تستر كثرة من الخطايا" (١بط ٤: ٨).
- "اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات" (يع ٥: ١٦).

متى نحتاج أكثر إلى قول الحق؟

عندما نخون أصدق قيمنا ونساوم معتقداتنا، ففي مثل هذا الوقت نصبح معرضين إلى خطية الكبرياء وخطر الإنكار.

عندما ننجح نصبح أكثر عرضة للكبرياء الذي يجعلنا ننسى أننا لم نحرز هذا النجاح إلا بسبب مجموعة الأصدقاء الذين يشجعوننا.

عندما يؤلمنا الآخرون وننزوي في دائرة الغضب واللوم والهجوم والانتقام، فعلينا أن نفكر في مستقبلنا مع ذلك الشخص الذي آذانا. سمعت عن مدير مكتب دخل في نزاع مع هيئة العاملين معه، مما أدى إلى مزيد من التعقيد، فقد وبَّخه الآخرون على أمور جعلته يشعر بالألم وأعطته الدافع للدخول في دائرة الهجوم

والانتقام، ولكنه جرَّب منهجاً آخر. إذ أحضر في اليوم التالي الخوذة الخاصة بالعمل في مجال البناء، ووضعها على المكتب، ووضع علامة على الباب تقول: "منطقة بناء. ادخل على مسئوليتك الشخصية". وهذا تصرف يتصف بالموقف العدائي المحفوف بالمخاطر.

عندما ننشغل لدرجة تجعلنا لا نسمع بانتباه، فسنكون عرضة لضياع الرأي الذي يمكن أن يعطيه لنا الصديق. فإن لم نستمع إلا لصوت أنفسنا فهذا معناه أننا نواجه خطر الفشل.

عندما نؤذي أصدقاءنا عن عمد أو عن غير قصد، فإننا يمكننا أن نرى هذا في عيونهم ونحسه في تصرفاتهم، فقد تسببنا في شعورهم بالألم، ربما لم نكن نعلم أن كلماتنا ستسبب هذا الفعل أو ربما أردنا الانتقام من بعض الألم الذي شعرنا به من قبل لكننا آذينا أصدقائنا.

عندما تكون غير متأكد من صحة صداقاتك استرجع اليوم الذي قلت فيه لصديقك: "هكذا يبدو الأمر بالنسبة لي يا صديقي، لا أعلم إن كنت فقدت شيئاً مهماً أو أنك لم تكن منفتحاً معي، ولكنني أشعر كما لو كنا نضع الحواجز بيننا ولا أريد أن يحدث هذا، فساعدني على فهم ما يحدث". عندما أتحدث بمثل هذه الكلمات إلى أحد أصدقائي المقربين، لا أكون متيقناً من نتيجة كلامي لكني أشعر بما قلت. بعد مضي اثنتى عشر عاماً من الصداقة، قد تعتقد أن الأمر سيكون

أسهل من ذي قبل. شعرت وصديقي بأننا مميزان، ولا تبدو مثل هذه الأحاديث ضمن إطار محادثاتنا العادية، ولكننا ننظر في عينيّ بعضنا البعض إذا ما نجحت المحادثة في تنقية الأجواء بيننا.

يأتي التشجيع في أشكال عديدة من بينها كلمات التأييد وقول الحق.. أعني كلمات التأكيد والاعتراض، كتبت "كرستينا روسيتي" "Cristina Rosetti" عن هذه الفكرة في "Globin Market" في عام ١٨٦٢ .

لا توجد صديقة مثل الأخت

في الأجواء الهادئة أو العاصفة

تدخل البهجة في وسط الطريق المظلم

وتسعى إليَّ عندما أحيد عن الصواب

وترفعني عندما أسقط

وتقويني عندما أقف

يعتبر التأكيد والتشجيع والتفويض أهم في بعض الأحيان من توجيه النقد. جلست على العشاء مع أحد القادة المحليين في حركة العدالة، وكنت غير متأكد من بعض القرارات التي اتخذتها نتيجة لانتقاد شخص آخر لي، ففتحت قلبي له وتكلمت عن نواياي وقال لي صديقي: "يا بني لا تسمح لأي شخص أن يجعلك تشعر أنك صغير أو قليل الشأن، ولا تسمح لأي أحد أن يشكك في صلاحية ما

تحاول فعله لملكوت الله"، كانت كلماته لي كالأكسچين النقي لشخص يختنق، فقد شجعني بتأييده الناتج عن محبته. ففي بعض الأحيان نشعر بالحاجة إلى التأييد.

وفي أحيان أخرى نحتاج إلى صديق يساعدنا على إزالة العوائق حتى نرى الطريق كله. أتى أحد تلاميذي الذين كنت أقوم بالتدريس لهم ليراني. وكان في غاية الضيق، فقد عانى لسنوات طويلة من مرض يعوق رؤيته ويتسبب في صداع شديد لأن عينيه لا يمكنهما التركيز على نفس الشيء، وأخيراً نجحت العمليات الجراحية والعلاج وتم شفاؤه، فصرخ قائلاً: "أعظم شيء في العالم هو القدرة على الرؤية بوضوح". ويعطي قول الحق رؤية واضحة لما كان مليئاً بالضباب في العلاقات، فهو نعمة.

في منتصف الليل

حكى مارتن لوثر كينج قصة أحلك ساعة في حملته التي قادها من أجل الحقوق المدنية. فقد كان في نزاع مع شركة من شركات نقل الركاب حينما تلقى مكالمة تهدد حياته إن لم يتوقف ويترك المدينة. وفي هذه الليلة سمع صوت الله في داخله يقول: "مارتن لوثر، قف بجانب البر والعدالة والحق، ثق إني سأكون معك حتى إلى أطراف الأرض".

شجعه هذا الصوت، لكن صوت الأم "بولارد" "Pollard" وهي امرأة عجوز كانت جزءاً نشطاً من الحركة قالت له بعد ثلاثة أيام من هذا التشجيع:

"هناك شيء ما خطأ فيك، فلم تتحدث بقوة هذه الليلة".

فأجابها: "لا، لا أيها الأم بولارد، لا يوجد ما يضايقني فأنا أشعر بأني في أحسن حالاتي".

فقالت: "لا يمكنك أن تخدعني فأنا أعلم أن هناك ما يضايقك، هل لأننا فعلنا ما يضايقك؟ أم "لأن الجماعات البيضاء تزعجك". وقبل أن ينطق بكلمة اقتربت بوجهها من وجهه وقالت بصوت مرتفع: "ألم أقل لك إننا معك طول الطريق، وحتى إن تخلينا عنك فالله سيعتني بك". ثم قال مارتن لوثر إن كلماتها المعزِّية كانت سبباً في شعوره بعدم الخوف كما لو أن طاقة جديدة قد هبطت عليه.

يمكننا أن نستمع إلى صوت الله بوضوح في صوت إنسان، فالتشجيع هو المفتاح الذي يعمق الصداقات.

أسئلة للدراسة

١- ما هي أعظم كلمة تشجيع حصلت عليها؟ ما هو الموقف؟ كيف شجعتك؟

٢- من هو أعظم مشجع في حياتك؟

٣- متى كان آخر مرة تحدثت فيها بكلمات تشجيع إلى شخص ما؟ ما هي النتيجة؟

٤- ما هو الشيء المحبط في حياتك الآن؟ ما الذي سيغير موقفك تغييراً إيجابياً؟

٥- من الذي يخبرك بالحق في حياتك؟

(٧)

أصدقاء يحبطون أصدقاء

"إن النعمة أفضل أعمال التعاطف، وهي موجودة على المستوى الإنساني للدرجة التي يمكننا أن نتخيل أننا في نفس موقف الآخرين"

دانيال تايلور Daniel Taylor

الغفران مهارة لا غنى عنها في أي علاقة إنسانية

إذا أحببت شخصاً لفترة طويلة، فإنه سيخيب ظنك أو يؤلمك أو حتى يتركك. كنت أتمنى أن يكون الأمر مختلفاً ولكن لا يبدو أن الطبيعة البشرية تسمح لنا بالكمال. وقد قرأت مؤخراً أن المكان الوحيد الذي يحيا فيه الكمال هو في الخيال. فتتسبب الحياة العادية في الضغوط والإحباط والألم والصراع والغضب حتى بين أفضل الأصدقاء.

فكِّر في دائرة أصدقائك حالياً، هل يوجد شخص واحد لم يحبطك أو يؤلمك؟ هل كانت هناك صداقة في حياتك استمرت أكثر من ستة أشهر دون ألم أو صراع مهما كان سواء كان صغيراً أو كبيراً؟ أعلم أن الصداقات المشهورة في عالم الأفلام السينمائية تحاول أن تجعلنا نؤمن بالعكس، ولكن حتى هذه الصداقات لابد وقد مرت ببعض أشكال الصراع. يخبرنا المبدأ الكتابي السادس: إن الغفران

مهارة لا غنى عنها في أي علاقة سليمة وذلك لأن الأصدقاء يحبطون الأصدقاء.

المدرس سقط

لنعود إلى أصدقائنا القدامى بولس وبرنابا. ولكننا هذه المرة سنلقي الضوء على علاقتهما بصديق مشترك وهو يوحنا مرقس. تمتع بولس وبرنابا بعلاقة عمل قوية وبصداقة حميمة، ففي أيام الكنيسة الأولى قدم برنابا المشجع بولس إلى الجمع، وكان ضامناً لمصداقيته ومرحباً به، وتشاركا في رحلات تبشيرية معاً واستخدمهما الله من خلال شركتهما. ولكن ظهرت الأزمة الحقيقية حول يوحنا مرقس، لقد كان كلاهما على معرفة به ويرى أنه شاب له مستقبل، وشاب له مواهب لعمل الملكوت، حتى خاب ظن بولس في أحد الرحلات التبشيرية وطلب منه العودة إلى موطنه. ولم يخبرنا الكتاب ما إذا كان قد رجع برغبته أم بسبب احتدام الصراع بالنسبة لإيمان هذا الشاب الصغير، ولكنه ترك بولس دون مساندة في وقت حرج من خدمته. ونعلم الكثير عن ضعف هذا الشاب وهو على أعتاب أيام خدمته الأولى.

وهذه الحادثة، تعلمنا الكثير عن بشرية بولس ذلك القائد الحكيم الناضج الكبير. ورفضه أن يأخذ مرقس في رحلة أخرى، فقد كان عنيداً من جهة هذا الأمر، ولم يستطع بولس ذلك المعلم العظيم في الكنيسة أن يقبل فشل مرقس ويساعده على التعلم منه، ويعطي فرصة لنمو مرقس. وفي أعمال الرسل ١٥: ٣٧-٣٩ نقرأ: "فأشار برنابا أن يأخذا معهما أيضاً يوحنا الذي يُدعى مرقس. وأما

بولس فكان يستحسن أن الذي فارقهما من بمفيلية ولم يذهب معهما للعمل لا يأخذانه معهما. فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر".

الأصدقاء يحبطون الأصدقاء. لقد أحبط يوحنا مرقس بولس، ولكن بولس أحبط صديقين في رفضه، الأول: برنابا صديقه القديم والثاني تلميذه الصغير يوحنا مرقس. وفي هذه المرة استحق المعلم لقب "ساقط"، واتخذ برنابا الذي كان مشجعاً دائماً صف يوحنا مرقس الصغير. الذي رغب في أن يعطيه بولس فرصة أخرى على الرغم من أنه أحبطهما، كما أراد من بولس أن يفعل معه ما فعله برنابا نفسه مع بولس من سنوات طويلة إذ إنه غفر له. ولكن بولس المعلم الذي ينادي بالمصالحة والغفران رفض الأمر تماماً هذه المرة مما أدى إلى حدوث صدع عظيم في صداقتهما، ذلك الصدع الذي لا يمكن شفاؤه إلا بالغفران.

توضح هذه القصة نقطة مهمة ألا وهي أن الصداقات لا تفشل بسبب أوقات الصراع والصدام، ولكن بسبب أن الأصدقاء يحبطون الأصدقاء. فعادة ما يتبع الإحباط فشل ويخلق مكاناً للألم وعدم الثقة. لقد اختلف بولس وبرنابا، واختلف بولس ويوحنا مرقس، وتأثر كل من حولهم بهذا الاختلاف. ويمكن أن تقع الآثار الضارة على من هم خارج دائرة الصراع. لقد تمزقت علاقة بولس بيوحنا مرقس بسبب فشل مرقس ورفض بولس أن يغفر له. ولا نعلم إذا ما كان من الممكن إعادة العلاقات الممزقة.

كيف يمكن أن يحدث هذا؟ كان بولس وبرنابا من أعظم فرق الخدمة في

التاريخ الكتابي، فمن أفضل منهما ليجسد لنا الغفران والتسامح؟ من أفضل منهما ليُظهر لنا صداقة تنهي الجدال الخاص بهذا الأمر؟ قد يرشح أحدهما بولس وبرنابا في أول أيام صداقتهما لينالا جائزة "أصدقاء هذا العام"، ففي مرحلة ما كانا نموذجاً للشركة العظيمة، ثم دب بينهما الصراع بأسلوب عنيف. كل صداقة عرضة للتمزق بسبب الانشقاق والصراع والجدال حتى أفضل الصداقات.

لا للوسط

أصدقاء العمر عملة نادرة إذ إنهم تعلموا واحدة من هاتين المهارتين، ألا وهما مهارة عدم الأمانة أو مهارة الغفران، ولا أعتقد أن هناك وسطاً. ربما يثير ذلك الكلام دهشتك فإما أن تتعلم ألا تكون أميناً من جهة الألم والأذى والشعور بالإحباط الذي قد يقع بينك وبين شخص آخر، أو تتعلم أن تسامح. هناك درجات للاختلاف وخيبة الأمل التي قد تتراوح ما بين البسيط إلى التطرف مثلما هناك درجات للألم البدني، ولكن الصراع هو الأرضية التي تنمو عليها العلاقات والبيئة التي يحيا فيها الناس ويموتون. أعتقد أن النهايات السعيدة ممكنة لكنها مرتبطة بتعلم مهارة الغفران، فهناك أصدقاء كثيرون من حولنا يجرحوننا، كما يوجد أصدقاء يتسببون في شعورنا بالإحباط والألم نتيجة لمشغولياتهم وعدم انتباههم، وهناك أصدقاء يتجاهلون شعورنا بالاكتئاب أو التعب. فيعد الغفران مهارة لا غنى عنها في أي علاقة، ولكنه لا يأتي بطريقة طبيعية لمعظمنا. يجب أن تغفر لأصدقائك، ويجب أن يغفر لك أصدقاؤك فهذه حقيقة أساسية في الحياة.

الغفران صعب لأنه يتطلب روحاً مسامحة يصعب الحصول عليها في أوقات الصراع، فالأوقات التي نحتاج فيها إلى الهدوء حيث هو السبيل الوحيد للمصالحة نجده في الواقع أكثر الأوقات التي يتغلب فيها الغضب الذي يسيطر على أرواحنا ويكدر قلوبنا. ويصعب الغفران في معظم المواقف ومع أفضل الأصدقاء، ويزداد صعوبة مع الضغوط والقلق، وتعقد المواقف، وتلوث ذهن الصداقة الصافي.

ما هو الغفران؟ فكر أولاً فيما هو ليس غفراناً

– **النسيان:** لا يعد غفراناً عندما أكتم الأمر وأحاول جاهداً أن أنسى الخطأ، فإن الذكريات تتشابه مع تخزين المعلومات في ذاكرتنا. فلا يمكننا أن نضغط على أنفسنا أو نمحو الذكريات بسهولة إذ تساعدنا الذكرى على نمو أعمق عندما نعمل سلاماً معها. ويقول لنا "فريدريك بوتشنر" "Fredrick Buechner" بعض الأفكار الحكيمة عن الذكريات:

ستظل الأمور السيئة التي حدثت من فترة طويلة جزءاً من شخصيتك تماماً مثل الأمور السعيدة، ولكن بدلاً من أن تتثقل بالشعور بالذنب والندم وتبادل الاتهامات التي تجعلنا نتعثر في طريقنا، نصنع سلاماً معها، وتكون مصدراً للحكمة والقوة للرحلة التي ما زالت أمامنا. فيمكننا من خلال الذكريات أن نعلن الكثير عن حياتنا التي حذفناها من فترة طويلة، بالعثور على ما قدمه الله لنا من إمكانيات الحياة الجديدة والشفاء الذي يساعدنا فيما بعد..

لا يقول الغفران: "انس الأمر، إنه لا يهم". عندما يحبط الأصدقاء أصدقاءهم

فهو أمر ليس سهلاً، ولكن الغفران هو القادر على شفاء هذه الذكرى ليحولها إلى النمو.

– **التظاهر:** هذا ليس غفراناً عندما أتظاهر بأنه لم يحدث شيء كما لو أني لم أتألم. فالغفران هو التصرف الذي يواجه الخطأ والألم والأذى بكل أمانة، ويتعامل معهما. ولكن التظاهر يعد سبيلاً للحماية بعدم الوضوح والمصارحة، أما الغفران فهو أسلوب لإعادة العلاقات بمواجهة الفشل والبدء بأعين مفتوحة وكلمات أمينة مثل: "أنا آسف، كنت مخطئاً، فقد أحبطتك وأعترف لك بهذا".

– **التجاهل:** لا يعد هذا غفراناً عندما أتجاهل الأمر كما لو أن شيئاً لم يحدث. يُظهر بعض الناس مهارة شديدة في هذا الخداع ومعاملتك بأسلوب مهذب أو بتواضع المؤمن الصالح، في حين يجب أن نطلق عليه عدم أمانة. فلا يأتي الصمت بين الأصدقاء بالمصالحة إلى استئناف العلاقات، ولكنه يأتي بسحابة تغطي عدم الأمانة.

– **الإقلال من القيمة:** هذا ليس غفراناً. عندما أقلل من قيمة الألم بالنسبة لي أو لك كما لو كان أقل من قيمته الحقيقية، ويظهر هذا جيداً في تلك التعليقات التافهة التي تستخدم بكثرة بين الناس، فهي تعكس نقص الالتزام والشعور بالخطأ الذي يعتقد البعض أنه سمة العصر. فهذه علامة على الإقلال من شأن الحوارلأننا لا نهتم بالشخص الآخر أو بما حدث بجدية. لقد كلف الغفران يسوع الصليب، فلم ينظر يسوع إلى خطية تمردنا وقال: "إنه لا شيء".

عندما قرر يسوع غفران السلوك الخاطيء، أخذ هذا السلوك بجدية دون الإقلال من حجمه أو الاستخفاف به، فقد أحب الناس جداً لدرجة أنه أزال التصرفات الخاطئة أو الشريرة حتى لا تقف عائقاً أمام العلاقة معه. عندما نغفر كما فعل يسوع فلن نسمح للتصرف المؤلم بالبقاء كعائق يعيق تفكيرنا من نحو الصداقة، ولكنه يعني أننا تسامحنا واجتمعنا معاً مرة أخرى. فالغفران مكلف لأن الغافر يعلن إصراره ويوافق على حمل الألم بعيداً عن الشخص الذي تسبب فيه. ويقرر الغافر على أنه لن يسمح للألم بالإبقاء على الجرح مفتوحاً. فالغفران أمر روحي لأنه عادة ما يحدث أعمق الأذى في العلاقة في روح الشخص، وبالتالي لن يسمح الغافر لهذا الأذى أن يمزق العلاقات ولكنه سيحاول معالجة العظام المكسورة ويسمح بحدوث الشفاء تدريجياً.

أتذكر استجابة شخص ما للغفران، فقد قال: "لا أشعر أنني أستحق الغفران". وهذا بالضبط هو الهدف، إذ إن الغفران هو عمل النعمة المقدم لكل شخص أخطأ إليك. قال "بوشنر": "الغفران لكلا الطرفين معناه الحرية مرة أخرى لكي يتمتع كلاهما بالسلام، ويسعدا بحضور بعضهما البعض".

لا أعتقد أن الغفران سهل أو أمر طبيعي، فهو مهارة من الضروري أن يتعلمها كل من يريدون أن يصبحوا أصدقاء صالحين للآخرين".

الغفران

يكتب "والتر وانجرن" "Walter Wangerin" عن الغفران بأنه أمر يبدو غير

منطقي ولا يدخل في إطار الحكمة البشرية فيقول: "الغفران عطاء كامل غير مشروط، وهو الرغبة في التخلي عن بعض الحقوق. فالإنسانة التي أخطيء إليها تختار ألا تطالب بحقها في رد الإساءة التي عانت منها". ثم يخبرنا بعد ذلك بقصة رائعة من اختباره عن الأذى الذي يستوجب الغفران من خلال الدموع المؤلمة في علاقته بزوجته.

لم تستطع زوجتي أن تغفر لي، هذه حقيقة بسيطة فقد كانت خطيتي أكبر من قدرتها على الغفران. وأصعب من احتمالها، وأكثر عنفاً من صلاحها. فلم يكن الأمر متعلقاً بتصرف ما أو مجموعة من التصرفات، ولكنه متعلق بكياني. فقد كانت خطيتي هي قتل روحها، والتعدي غير المقدس على شخصيتها وكيانها، وتجاهل وجودها كما لو كانت قطعة أثاث، فقد كسرتها. كيف يمكن لشخص مكسور أن يصبح في نفس الوقت كاملاً حتى يغفر؟ لا لم تستطع أن تغفر لي. ولكن يسوع استطاع.

وفي أحد الأيام وقفت زوجتي على باب حجرة مكتبي تنظر إليَّ، وعندما واجهتها وجدتها غير غاضبة، فقد كانت تحملق فيَّ بنظرة رقيقة بعينين مملوئتين بالأسئلة، حيث لم أتوقع هذا الأمر سواء وجودها في تلك اللحظة أو رد فعلها. ونظرنا لبعضنا البعض لدقيقة ثم مشت إلى جواري ولمست كتفي، وقالت: "هل يمكنك أن تعانقني؟ فقفزت من الكرسي وطوقتها بذراعي وضممتها إليَّ وانفجرت دموعنا..

عزيزي الرب يسوع من أين تأتي هذه الرغبة الفجائية التي لا أستحقها حتى سمحت لي بلمسها ومعانقتها وحبها؟ لا ليست مني فقد كنت سبباً لتدميرها، وليست منها، لأنني قتلت هذا الجزء فيها.. لكنها منك.

كم مرة تعانقنا من قبل؟ لا أستطيع إحصاء تلك المرَّات، وما مدى روعة هذه المعانقات؟ لا أستطيع أن أخبرك بروعتها. ولكن *هذا* العناق كان خلاصي. فهو مختلف عن أي عناق آخر ومميز للغاية لأني لم أتوقعه. *فهذا* هو الغفران. زال الناموس، وتنازلت عن كل حقوقها، وأخذت الرحمة مكانها، وأصبحنا زوجاً وزوجةً مرة أخرى.

أعطتني زوجتي هدية عبارة عن صورة مرسوم عليها سيدة، ومكتوب على الصورة من أسفل أحبك حتى أني أشعر أن حبك يؤلمني. ومازلت أحتفظ بها في غرفة مكتبي حتى اليوم. يعطي الغفران حياة لمن كان ميتاً من قبل، ويصنع التسامح بين العلاقات التي بلا رجاء، ويعيد بناء كل ما تمزق بسبب رياح الصراع، ويقدم هدية من أعظم الهدايا التي يمكن تقديمها للإنسان إذ يعطيه فرصة أخرى. لهذا يجب أن نتعلم الغفران كمهارة لا يمكن الاستغناء عنها في علاقاتنا.

يعد الغفران مهارة.. نعمة اتصال عندما تكون العلاقات في قمة هشاشتها وضعفها. إن الغفران يعتمد على مهارة أخرى ألا وهي قول الحق. هناك الكثيرون ممن ينادون هذه الأيام بدعوة الناس في كل مكان إلى العودة للالتزام بالقيم

الأساسية والمعتقدات الإيمانية والقوانين الواضحة، ومن أهم الأساسيات في هذه الحركات الالتزام بالاعتماد على المجموعات التي يعتبر الصديق صديقه ملتزماً بهذه القيم. فبدلاً من المنافسة والخوف الذي من الممكن أن يتحولا إلى عداوة يكون هناك تكامل وذلك بسبب التشجيع المتبادل، وقول الحق المتبادل. لقد أصبح قول الحق فضيلة نادرة في عالم اليوم لدرجة أنه يحتاج إلى قادة مؤيدين للحفاظ عليه.

في عام ١٧٨٤ كتب وليم بلاك "William Blake" هذه الكلمات في قصيدته "شجرة سم":

كنت غاضباً من صديقي

عبَّرت عن غضبي وانتهى

غضبي من عدوي

ولم أخبره فازداد غضبي

فإني أخبرك بالحق عندما أقدِّرك لدرجة تجعلني أتحدث بالحق كما أراه مناسباً لك حتى تنمو.

يتطلب الغفران أمانة وإلا سيتحول إلى شكل آخر من أشكال ارتداء الأقنعة، ويتطلب الغفران قول الحق أو الانتقال أو المواجهة، ولكن كيف أعلم أنني "أقول الحق" بطريقة سليمة؟. كتبت أليس ميللر Alice Miller: "إذا كان الأمر مؤلماً جداً بالنسبة لك أن تنتقد أصدقاءك إذن فأنت في أمان، ولكن لو انطوى الأمر على

متعة –ولو بسيطة– ففي هذا الوقت يجب أن تحفظ لسانك".

ينصحنا بولس في رسالة أفسس قائلاً: "اغضبوا ولا تخطئوا". وبالطبع الخطية ليست هي الغضب في حد ذاته، ففي بعض الأحيان يكون الغضب شرعياً ومناسباً وضرورياً، فلا يعد قول الحق خطية في حد ذاته حتى في وقت الغضب، ولكنه قد يؤدي إلى شفاء وغفران. فلا خطية في الغضب إذ يمكن أن يكون الغضب صحيحاً ومبرراً ومهمًّاً. ولكني أعتقد أن هناك خطية في الغضب الذي لا يسعى إلى المصالحة. لهذا فإن الغفران مهارة لا غنى عنها في علاقاتنا، إذ إن الغفران هو الوعاء الذي يحمل المصالحة بين شخصين.

تكاليف الغفران

لن أقول لك إن الغفران يتبع أربع نقاط، ولكن فيما يلي أربع علاقات مشتركة لمنح الغفران:

١– يتكلف الغفران اعترافاً بالخطأ، فيجب أن أعترف لنفسي ولك أنني فعلت أمراً خطأً.

٢– يكلف الغفران شعوراً بالأسى والحزن على الخطأ الذي أرتكبه، فلا يجب الاعتراف بأن هناك خطأ ما حدث وحسب، ولا يجب أن أتأسف على أنني أصيبك بالألم وحسب، ولكني يجب أن أتأسف لأن ما فعلته كان خطأ. فالاتضاع هو الاعتراف الأمين بالأسى بسبب الأفعال الخاطئة التي تسببت فيها. وهو مكلف لأن مجتمعنا يميل إلى الإقلال من حجم الأفعال الخاطئة كمفهوم عام، وينكره كمفهوم

خاص في العلاقات، فقد يقول: حدثت الأمور هكذا دون أن تكون خطأً شخصياً. ولكننا نعلم في أعماقنا أن هذه كذبة، فالغفران لا يسمح بمثل هذا النوع من الإنكار.

٣- يكلف الغفران شعوراً بالذنب عند الشخص المخطيء، ولا يوجد أسلوب لتجنب مثل هذا الشعور، فإن أذيتني يجب أن أحمل ذنبك عنك. ألم تكن هذه هي النظرية الأساسية للصليب حيث حمل يسوع حَمل الله الكامل في جسده وروحه خطية العالم الفاسد الذي أنا جزء منه؟."أجرة الخطية هي موت. وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا" (رو ٦:٢٣).

٤- وأخيراً يكلف الغفران كلاً من الطرفين عهد مصالحة يرغب فيه هذان الشخصان في معالجة الخطأ وعدم التمسك به لبعضهما البعض. فنعيد الصداقة إلى قواعدها سالمة إن اتفقنا معاً على أن علاقتنا أهم من الخطأ أو الألم لأنها أكبر من ألمنا ومرارتنا.

عندما تسببت في إصابة أحد أصدقائي بالإحباط، لم يكن الأمر مجرد خطأ بسيط، ولكنه كان خيانة للثقة المتبادلة، فقد خنت ثقته التي كانت أساساً ملموساً لصداقتنا الثابتة والقوية. لم يكن الأمر عن غير قصد ولكنه كان غباءً وخطأً، لم يثبت على صديقي خطأ ما ولكنه كان يعلم أن هناك شيئاً ما خطأ قد حدث.

كانت هناك مواجهة تبعها اعتراف بالخطأ وانتظار ذلك الوقت الذي اتسم بالبطء الشديد والألم، فقد انتظرت حلاً سواء كان غفراناً أو رفضاً، ولم أعرف رد

فعل صديقي، لكني كنت أعرف ما أستحقه. عندما تخون الثقة لا يمكن المضي قدماً في العلاقة كالمعتاد، خاصة إذا تعلق الأمر بالصداقة.

نقطة اللاعودة التي أصابت علاقتنا كانت تشبه تجربتي الأولى في تسلق الجبال. أتذكر ذلك الجبل الذي كنا نتسلقه. كنا ثلاثة أفراد نتجول بين الجبال ثم عبرنا الشق الجليدي الذي يفصل بين جبلين، وهو عبارة عن أخدود عميق تجمد سطحه. ثم تغير كل شيء، فبعد أن كنا نقضي وقتاً في السير بين الجبال أصبحنا نتسلق جبلاً.. إنها لحظة لم أستطع بعدها التراجع.. لقد كانت خطوة واحدة تبعتها خطوات متوالية.

في أوقات الانتظار هذه تأملت في إمكانية ضياع حب شخص أعتمد عليه في ضروريات الحياة، مثل الحق والراحة والثقة ومساحة لنمو الحب. وما شعرت به في ذلك الوقت يمكن أن أقول إنه حزن غير ناضج فقد كنت أسلب نفسي من احتمال موت صداقة.

وعندما كان الموت حتمياً فقد حلت النعمة وعندما استحققت الرفض منحني صديقي الغفران فقد عبَّر عن غضبه في صورة غضب بار ومملوء بالحق. وعادت العلاقات كما كانت منذ عشرين عاماً إذ قال إنني أغفر لك. وبكيت تعبيراً عن ارتباكي ثم جاء دور كلمات المصالحة المكلفة والمغيِّرة، فهذا هو الغفران الذي بدونه يفقد الصديق الذي يحبط صديقه تلك الصداقة.

كيف تنتهي الصداقات؟

أعتقد أن هناك أساليب عديدة تصل فيها صداقاتنا إلى خط النهاية، وفيما يلي خمسة أسباب أساسية:

أولاً: افتراق عن طريق انسحاب غير مقصود، فيحدث التشتت عندما تتغير أولوياتنا وأنشطتنا، فلا نذهب إلى الأماكن القديمة مرة أخرى، ولا نعود نرى بعضنا البعض في نفس مواقف الحياة التي اعتدناها، فنخون بعضنا البعض دون أن نقصد ذلك.

ثانياً: هناك افتراق بسبب التجنُّب غير المقصود، حينما نشعر بالأذى والتعب والملل والانشغال الشديد، وبالتالي قضاء أوقات بدون أن يكون أصدقاؤنا معنا.

ثالثاً: هناك افتراق بسبب التحليل غير المتعمد للعلاقة، فيتفق الأصدقاء معاً على أولويات أخرى أهم، ثم يحين وقت التحول، حينما نقرر أن تلك الأولويات الأخرى أهم.

رابعاً: هناك افتراق بسبب النزاع حينما نتناقش بحدة على أمر مهم أو تافه، ويحدث الانشقاق انشقاقاً فنصاب بالملل والغيظ.

أخيراً: يحدث الافتراق في الصداقة عندما نرفض منح النعمة والغفران والرحمة لبعضنا البعض، فنحمل ضغينة نرفض التخلي عنها، ونضع غطاءً على وعاء الغفران فلا تحدث المصالحة أبداً.

تقدم ليتي كوتن "Letty Cottin" لنا قائمتين لأسئلة مهمة عن الأصدقاء فيما يتعلق بفسخ العلاقة:

إذا كنت أنت من يضع نهاية للعلاقة فاسأل نفسك:

- هل كنت منصفاً؟ هل منحت صديقي فرصة عدم الظن به سوءاً؟ (لا تقم بإنهاء علاقة بسبب دليل مشكوك فيه).

- هل أشعر بأنه لا يمكنني احتمال ما فعله صديقي أو لا يمكنني احتمال طبعه؟

- إذا لم تكن هناك فرصة للمصالحة، هل كنت حازماً وواضحاً بحيث لا يمكن أن يكون هناك مجال للفهم الخاطيء؟

- حتى ولو كنت أنا الذي اخترت الرحيل، فهل أنا مستعد لتحمُّل الشعور بالذنب والندم فيما بعد؟.

لو كنت أنت المتهم وتود المحاربة من أجل صداقتك، فكر في الأسئلة التالية:

- هل أنا قادر على الاعتراف بأخطائي، وشرح تصرفاتي دون دفاع أو ضغينة؟

- هل يجب أن أفعل هذا بالتليفون، أم كتابةً، أم بالذهاب شخصياً؟ في مكان عام أم في مكان خاص؟

- هل أريد التصالح حقاً أم إنني أريد أن نعود لبعضنا البعض حتى أستطيع الانتقام؟

- إذا قررت التغيير، هل يمكنني أن أفي بوعدي؟

- هل يمكن لصديقي ولي أن نتعلم أن نختلف حول بعض الأمور دون أن نفقد صداقتنا؟ أم أنها مسألة وقت حتى يواجهنا انفجار آخر؟

- كيف أن المرَّات العديدة للرفض ستقنعني بالتخلي عن الصداقة؟

أسئلة للدراسة

١- هل تميل وأصدقاؤك إلى عدم الأمانة أم إلى الغفران أكثر؟

٢- متى كانت آخر مرة سامحك فيها صديقك؟ ما هو الموقف وما هو سبب الخلاف؟

٣- متى كانت آخر مرة سامحت فيها صديقك؟ ما هو الموقف وما هو سبب الخلاف؟

٤- ما الذي تعلمته عن الغفران في الستة أشهر الماضية؟

٥- هل هناك صديق يجب أن تغفر له الآن؟ وما الذي يعوقك عن الاهتمام بهذا الأمر؟

(٨)

الصداقات التي تدوم

"أفضل مرآة صديق قديم"

"مَثَل"

الصداقات التي تدوم لابد أن تتعمق

وجدت نفسي مؤخراً أتساءل بصوت عالٍ عن أمر لم أفكر فيه من قبل. فيسوع هو معلمي فيما يتعلق بالصلاة والحياة الروحية والتلمذة والحق، فهل هو معلمي فيما يتعلق بصنع أصدقاء؟ هل فكرت في يسوع على أنه "أفضل صديق"؟ هل فكرت من قبل في أن يسوع يمكن أن يكون أفضل مثال لنا كصديق مؤثر؟ سأعترف لك أنه لم يخطر ببالي هذا الأمر، حتى بدأت عملي في هذا الكتاب. فعندما بدأت أبحاثي سألت نفسي: "ما هي أعظم صداقات في الكتاب المقدس؟" ما هذه الصداقات التي أوضحت حقاً جليلاً بأسلوب غيَّر من مجرى الحياة؟ وكانت الإجابة التي أدهشتني واستحوذت على انتباهي الكامل: **يسوع كان صديقاً عظيماً لبطرس!**

يمكن التعرُّف على كل المفاهيم الكتابية للصداقات العميقة في العلاقة بين يسوع وبطرس:

١- كشف شخصيته الحقيقية.

٢- اختار أن يمنحه إخلاصاً مقصوداً، ودعاه ليشترك في ضيافته كواحد من الاثنى عشر تلميذاً.

٣- اجتياز أزمنة الإيمان وعدم الإيمان والنمو والتراجع.

٤- الاستماع.

٥- التشجيع.

٦- الإحباط والغفران.

اجتاز يسوع كل هذا وهو يسير في طرق الجليل مع صديقه بطرس. حقاً تشاركا في أمور ساعدتهم على الدخول في إطار الصداقة بسرعة ألا وهي: ميراث مشترك كيهود، ونفس المكانة الاجتماعية والظروف الجغرافية، وحلم بالملكة المستقبلية التي يملك الله فيها. ولكن كان هناك حاجة إلى أمر آخر حتى تتأصل صداقتهما ألا وهو المبدأ السابع الذي ينادي بأن الصداقات التي تدوم لابد وأن تتعمق.

لم يسعد بطرس بأن يقف موقف المتفرج، إذ إنه أراد الاشتراك في الأمر. فقد أعطانا بطرس صورة تقليدية للعاطفة والاقتناع والحرارة والطاقة لا رجل مفكر أو معتن، رجل يحمل طاقات خام لم تستغل بعد، رجل يتمتع بعاطفة لا حدود لها، وقد تُرجمت هذه العاطفة إلى إيمان، إذ إن بطرس هو التلميذ الوحيد الذي كان في القارب ومشى على المياه ليصل إلى يسوع ليقول له إنه كان يصطاد اليوم كله.

وتُرجمت العاطفة إلى عرض مغرٍ منه ليبني ليسوع وإيليا وموسى خيمة على جبل التجلي. وتُرجمت هذه العاطفة إلى إعلان عاصف بأن يسوع سيد، وتبعها على الفور شجب من يسوع لبطرس لأنه يعيق ملكوت الله. وتُرجمت العاطفة إلى دافع للدفاع عن صديقه بسيفه في لحظة، ثم أنكره بكلماته بعد ساعات قليلة. تصفَّح آيات العهد الجديد التي تذكر بطرس في المقدمة وفي الخلفية ولكنه موجود معه أو بجانبه حتى لحظات الإنكار الرهيبة والخيانة وعدم الإخلاص في الليلة التي أخذ فيها رجال بيلاطس يسوع إلى السجن. فأينما ذهب يسوع لم يكن بطرس ببعيد. فقد كان بطرس جزءاً من الدائرة الداخلية.

يتمتع كل إنسان بدائرة داخلية من الأصدقاء الذين يهتم بآرائهم، ويعتز برؤيتهم، ويثق فيهم. وتشتمل هذه الدائرة بالنسبة ليسوع على الثلاثي بطرس ويعقوب ويوحنا.. ثلاثة صيادين تتحدث تصرفاتهم أبلغ من كلماتهم التي تتسم بأنها مشوشة. وقد أخذ يسوع هذه الدائرة الصغيرة في الأوقات الخاصة للتعليم والعبادة والتأييد. هناك أناس قليلون يعدون على أصابع اليد مفوضون في هذه الدائرة الداخلية التي نثق فيها للغاية، إذ إنهم أصدقاء مهمون، ويمكن وصفهم بأنهم أصدقاء الروح لأنهم من يعرفون أسراري ويشاركوني فيها على الرغم من أنه ليس سهلاً عليَّ أن أكشف نفسي للآخرين. لقد تعلمت عبارة "أصدقاء الروح" هذه لأول مرة من الكتاب الذي يحمل هذا الاسم، وصديق الروح هو ذلك الشخص الذي يصل اهتماماته إلى أبعد من القضايا السطحية للحياة اليومية، فيريد

صديق الروح أن يرتبط بعمق مع صديقه فيتعمق في الأمور الخاصة بالروح أو النفس. ويريد أصدقاء الروح أن يساعدوك على رؤية الجانب الروحي في أحداث الحياة التافهة، فيأخذك هؤلاء الأصدقاء إلى أعمق مما تستطيع.

لا يعد التعمق في العلاقة أمراً تلقائياً يحدث بمرور الوقت، فليس معنى أننا أصدقاء قدامى، أننا أصدقاء الروح، أو حتى "أصدقاء صالحون". كنت على معرفة بسائق لسنوات عديدة، ولكننا لم نكن أصدقاء مقربين، ويمكنني التعرف على خادم المائدة في مطعم قديم، ولكنني لست صديقاً له، فقضاء بعض الوقت أو المشاركة في وقت معين ليس دليلاً على العمق، فهناك تصرفات ملموسة ومطلوبة لكي تتعمق علاقة أصدقاء الروح.

الحاجة إلى المزيد

يتطلب التعمق المزيد من كل ما أطلقنا عليه "مباديء الصداقة الكتابية" إذ إنه يتطلب المزيد من خلع الأقنعة، والمزيد من الإخلاص، والمزيد من الاستماع، والمزيد من الوقت، والمزيد من الحق والاتصال المخلص، والمزيد من الغفران. فصداقة الروح أكبر من الصداقة المؤقتة أو الموسمية أو الوظيفية. فهي عميقة من الناحية الروحية والشخصية مما يوضح سبب ندرتها. فتعد ضيافة الروح بمثابة الباب إلى الأماكن الخاصة في القلب والنفس. وتحدث عندما أدعوك وأنت غريب -إلى حد ما- إلى أكثر الأماكن الآمنة في منزلي، فأرحب بك في المكان الذي يمكننا أن

نتبادل فيه القصص دون خوف من الرفض.

مشهدي المفضل في فيلم "مجتمع الشعراء الموتى" هو مشهد كهف يجلس فيه مجموعة من الأولاد في مرحلة ما قبل المدرسة، ويبدأون في قول الحكايات لبعضهم البعض، ويغنون الأغاني لبعضهم البعض. وفي لحظة معينة يتشاركون بخبرة الشعر الفريدة والعظيمة، فيصلون إلى أعماق قلوب بعضهم البعض حتى ولو كان الأمر مجرد لحظة. فأصدقاء الروح هم هؤلاء الذين يزيلون النقاب الذي يغطي أرواحهم الهشة والرقيقة، ويعيقها من أن تتعمق إلا عندما يتعلمون أن يخبروا بعضهم البعض بقصصهم وينفتحوا على طبيعتهم الحقيقية بلا أقنعة.

يؤمن أصدقاء الروح بالشخص كاملاً، ويشغفوا بمعرفة القلب والنفس والعواطف. هل لاحظت من قبل إلى أي حد نركز في محادثاتنا على أجسادنا وعواطفنا؟ فنسأل: "كيف حالك اليوم؟ أو كيف تشعر؟" "هل حصلت على نوم هادئ". يسأل أصدقاء الروح أسئلة عن حالة القلب والنفس، ومن الأسئلة المحببة إلى نفسي ذلك السؤال الذي يسأله بعض الأفارقة: "هل تتمتع بالسلام الداخلي؟" فهم يسألون عن شيء أهم من الحالة البدنية. كان لدي صديق يسأل سؤالاً معيناً ألا وهو: "هل كل شيء على ما يرام في نفسك؟". كان هذا السؤال يزعجني في بعض الأحيان، لأنه لم يكن لديَّ إجابة جيدة له، وشعرت كما لو كان ذلك الصديق يتدخل في حياتي بسؤاله هذا. ولكنني تمتعت بصداقات روح مع أناس يسألونني أسئلة مثل هذه، ويسعدونني بالمحبة التي تنطوي عليها هذه الأسئلة. عادة ما

نكتفي بالأسئلة الهشة والسطحية، وقد وجدت أن كثيرين يكتفون بالعلاقات المصابة بسوء تغذية، لأنهم يقبلون المحادثات السطحية بينما هم في الحقيقة يرغبون في محادثات غنية وعميقة.

سافرت هذا الصيف بالقطار وقد كانت رحلة جميلة، وقد كنت متشوقاً لرحلة العودة حتى أرى كل هذه المناظر من خلال النافذة من الناحية الأخرى، ولكن لسوء الحظ خرج قطارنا عن الخط بمجرد رحيله. عدنا إلى المحطة بالحافلة وارتبطنا معاً بطريقة شخصية وسريعة بسبب تشاركنا في نفس المُشكلة ألا وهي التغيير غير المتوقع في خطة رحلتنا. وكانت محادثاتنا قوية وحية. وطول طريق عودتنا تحدثت مع من يجلس بجواري في المقعد عن أمور كثيرة مثل العمل والعائلة والقرارات المصيرية والخطط المستقبلية، فقد كان المشهد غير عادي والظروف غير ملائمة، ولكنها جعلتني أتساءل هل أنا مستعد للتعمق مع الغريب أكثر من أصدقائي المقربين؟

ألديك أصدقاء تريد أن تعرِّفهم كل الحقائق العميقة الخاصة بأهم الأمور بالنسبة لك ومشاعرك ودوافعك التي تشكل حياتك وتوجهها؟ أو ربما تتوق إلى شخص ما تشترك معه فيما يغني حياتكما.

ما المقدار الذي تتناوله محادثاتكم فيما يتعلق بـ "أكبر ثلاثة أمور" من أمور المحادثة اليومية المعتادة؟

- حديث النميمة ("هل قلت لك عن فلان وفلان؟")

- حديث التفاهة ("ألم أخبرك أين ذهبت؟")

- حديث خاص بالوقت ("هل أخبرتك بما حدث في العمل اليوم؟")

تشتمل حوارات أصدقاء الروح على حديث إيماني وحديث فكري في محاداثاتهما العادية. إنها المحادثات التي تثري مفهوم الملكوت، وتسعى إلى الحق. وتعد محادثة صديق الروح مقدسة، لأنها ترى المعنى الروحي العميق في تسلسل أحداث الحياة اليومية، فهي لا تتعلق دائماً بالأمور "الدينية" أو "الروحية" ولكنها تصل بعمق إلى كل حدث أو خبرة أو قضية في الحياة.

ما الذي سيتغير في حياتك إذا اشتملت أسئلتك التي توجهها لأصدقائك على أسئلة عن الروح؟ ببساطة أن أصدقاء الروح هم أناس يتشاركون معاً في صداقة مع الله كجزء أساسي في علاقتهم المتماسكة والمقصودة. وتتكامل حياتهم "بالأحاديث الإيمانية" كجزء أساسي من علاقاتهم المستمرة، لأن صداقتهم مع الله جزء أساسي من شخصياتهم. وتسأل مثل هذه الأحاديث وتبحث في كل خبرات الحياة من خلال المشاركة بالإيمان الكتابي بطرق تحفز بعضهم البعض. ويمكن التعبير عن لفظ "الصداقة مع الله" بلفظ "التلمذة" أو "السيرة الإيمانية".

تعجبت في السنوات الأخيرة، لأن لغة "الروح" تعيد الحديث عن الأمور الروحية، فقد اندثر هذا المصطلح بسبب هؤلاء الذين يفضلون الألفاظ الجديدة

فيما يتعلق "بالتشكيل الروحي" و"التطور الروحي" و"النمو الروحي"، وعلى الرغم من ذلك فإن لفظ "روح" مزدحم للغاية لدرجة أنه يحمل أعمق معاني القلب.

إن الاستقلالية والخصوصية اللتان تتسم بهما الحضارة الأمريكية اليوم ما هي إلا حفلة تنكرية تخفي أعمق احتياجاتنا الحميمة مع شخص آخر. يُسيء عالم الطلبة الذي أعمل فيه اليوم فهم هذا الجوع إلى الحميمية كرغبة للتقارب الجنسي، ولكن هذه الحميمية ليست لصداقة الروح، لأنه قد يكون تحولاً رخيصاً ليس إلا، فالجوع إلى الحميمية ليس حاجة مجتمع الصغار فقط، فحميمية الروح احتياج إنساني عام، فقد كتب بول تورنير "Paul Tournier":

أستمع إلى كل المحادثات التي تدور في عالمنا سواء كانت بين الأمم أو الأزواج، فهي في معظمها حوارات بين صم. فيظهر بعض أنوا ع التبادل في وجهات النظر رغبة حقيقية في الفهم للشخص الآخر. فلا يستطيع شخص ما أن يحيا حياة كاملة دون أن يشعر أن هناك شخصاً واحداً على الأقل يفهمه. عندما تشعر أنك غير مفهوم تفقد ثقتك في نفسك، وتفقد إيمانك بالحياة وبالله. ويوجد سر أعظم لا يعرفه أحد من خلال فحصه لأفكاره ودوافعه أو من خلال عزلته مع يومياته، فمن يريد أن يرى نفسه بوضوح يجب أن ينفتح على الثقة التي يختارها هو بحرية والتي تستحق الاعتماد عليها.

عاطفة القلب

تعد العلاقة الحميمة بمثابة مشاركة عواطف القلب. قال أحد الكتّاب: "إن أي شخص بدون صديق روح عبارة عن جسد بلا رأس". فالصداقات التي تتعمق تتفاعل مع القلب من خلال الزمن. فمعنى التعمق هو أن ما يحرك نفسي سوف يحركك أيضاً إما بسبب أنه **يلزم** أن أخبرك به أو لأنك ببساطة تعرفني جيداً لدرجة أنك تعرف كل شيء عني من خلال علاقتنا الماضية.

من المعتاد أن الأصدقاء الناضجين يتحدثون عن أمور عميقة، وأشياء متأصلة، والآن أعلم أن الصداقة نفسها تجعل الأشياء عميقة. فمن المميزات العظيمة للعمل مع طلبة الجامعة هو أنني أرى يومياً الطاقة والإثارة التي يتمتع بها الشباب. تقابلت مع طالبة وتحدثنا عن أحلامها بالنسبة للمستقبل. ثم تحدثت مع طالب واستمعت إلى اتجاهه فيما يتعلق بملكوت الله. ولم يكن أن نفرض هذه الحوارات على أنفسنا، ولكنها أتت كنتاج لاشتراكنا في تقديم حياتنا ليسوع ولبعضنا البعض. يندفع الحديث "عن الملكوت" بطريقة تلقائية كما لو كان ينسكب من كوب ماء مملوء بالعاطفة المشتركة للصداقة مع الله، ومع بعضنا البعض.

الاتصال الشفاف

عندما كنت طالباً صغيراً تأثرت بكتاب "چون باول" "John Powel" الذي يحمل عنوان: ***"لماذا أخشى أن أخبرك من أنا"*** فأتذكر حين مررت بالمكتبة، وانحنيت على

ركبتيّ لآخذه من على الرف السفلي، فقد اندهشت جداً لأن عنوانه ينشر أكثر الأسئلة السرية التي كانت تدور في داخلي، ألا وهي: *"لماذا أخشى أن أخبرك من أنا؟"* فوقفت في الممر، وقرأت العنوان مرة ثانية وثالثة، فقد شعرت كما لو أن أخباري الشخصية نشرت على العالم ليقرأها. حيث سأل هذا الكتاب سؤالاً لم أكن مستعداً له وأعلن أن الخوف كان جزءاً من الإجابة.

حدد "باول" خمس مستويات للاتصال:

- اتصال على المستوى النمطي، وهو حديث قصير إذ أن مستوى المخاطرة ضعيف والمحتوى سطحي.. مثل "هل رأيت مباراة الأمس؟".

- اتصال على مستوى الحقائق وهو يكشف قدرات معلوماتية أو شخصية، إذ تخبر الآخرين بما تعرفه، ومرة أخرى فإن مستوى المخاطرة ضعيف على الرغم من أن المضمون أكثر تعقيداً.

- اتصال على مستوى إبداء الرأي وفيه تشارك بما تؤمن به، وعادة ما يكون عن موضوعات عادية وقضايا عامة.

- اتصال على المستوى العاطفي، فهو خطوة رئيسية نحو الشفافية والمصارحة، لأنك تخبر الآخرين بما تشعر به، إذ إن له علاقة بالمخاوف والأحلام والألم والعواطف والسعادة والحزن. وعندما أتصل مع الآخرين على هذا المستوى أبدأ في خلع الأقنعة، وأفصح عن جزء من شخصيتي.

- اتصال على مستوى الشفافية، فهو يتطلب ثقة كبيرة وينطوي على أعظم قدر من المخاطرة فيما يختص بحمايتي لنفسي.

استرجع مرة أخرى آخر أربع وعشرين سنة من حياتك. ما نوع الاستماع الذي فعلته مع أصدقائك؟ ما نسبة المستويات السابقة في الحديث مبتدئاً من واحد إلى أربعة؟ متى كانت آخر مرة مارست فيها الاستماع على المستوى الخامس؟

أخبر يعقوب المؤمنين الأوائل أنه يجب عليهم أن يتخطوا الثلاثة مستويات الأولى حين قال: "اعترفوا بالزلات بعضكم لبعض". فلا يجب أن أثق بك وحسب، ولكن أن أعترف لك أيضاً. وفي الاعتراف سأتعلم أن أثق بك بكل قلبي. يعد الاعتراف صورة أخرى من صور قول الحق. فلا يكون الدافع هو التخلص من الخجل أو الشعور بالذنب، أو أن أحل نفسي من أمور فظيعة فعلتها، أو شعرت بها أو فكرت فيها. ولكن قد يكون الدافع هو توضيح ضعفي البشري إلى شخص آخر حتى يستطيع أن يرى فيَّ عجزه البشري، حتى نستطيع أن نذكِّر أنفسنا بأهمية الخطأ البشري حيث إن الله خلقنا على صورته ومثاله من أجل الآخرين. فقد أوجدنا الله حتى نقدم ضيافة الصداقة عبر الخطوط الثقافية والاقتصادية والدينية والعرقية والسنية والنوعية. فلو عرَّفنا الآخرين بمحبتنا فستكون الصداقات هي سمة حياتنا كمؤمنين. فهناك حاجة ضرورية إلى ضيافة وسخاء الصداقة في ذلك العالم الذي يبدو وكأنه يحيا بروح وضيعة ومنعزلة وباردة ويتسم باللامبالاة.

في شريطها "*حديقة حيوان رجل أعمى*" تدعونا ناتالي ميرشنت "Natalie Merchant" إلى الاتصال الأمين والمكلف:

أزعجني وأشغلني بكل اهتماماتك وقلقك.

أزعجني في الأيام التي تشعر فيها بأنك استُهلكتِ.

لماذا تجعل كتفيك تنحنيان تحت هذا الحمل الثقيل في حين أن ظهري قوي وقادر على التحمل.

أزعجني

تحدث إليَّ ولا تضلِّني، فالهدوء الذي أحس به معناه أن هناك عاصفة قادمة.

ولا يمكنك أن تعرف متى تبدأ وكيف تنتهي

تحدث إليَّ.. لماذا تبني هذا الحائط الضخم ليحميني في حين أنه يسبب لي خوفاً رهيباً.

لماذا تسمح لكتفيك أن تنحنيان تحت وطأة هذا الحِمل حينما يكون كتفاي قويان.

تحدث إلى...

اصفح عني؟ لا تسامحني عن الأشياء المتعبة

أتعبني، أزعجني بكل همومك ومطالبك

تحدث معي ودع كلماتك تبني جداراً يحمينا من الزوابع

دعني أعرف ماذا يمكنني أن أصلحه

ثق فيما أقدمه لك عندما تزعجني.

لا يسعد أصدقاء الروح بالأحاديث التافهة، أو بمجرد معلومات وعواطف وحسب. بل يزيحون الستائر الموجودة على منافذ الأمانة وشفافية الروح.

أرى في خيالي يسوع وبطرس مشغولين جداً في حديث عن الملكوت، حيث يساعد يسوع بطرس على رؤية الدور الذي سيلعبه كأول قائد رسولي مميز، فأراهما يتجادلان ويتناقشان عن الملكوت ويساعدان بعضهما البعض على الاحتفاظ بالشجاعة والثقة للقيام بمهامهما، وأراهما يفكران بصوت مرتفع في عائلة بطرس وفي علاقة يسوع بعائلته، وأرى بطرس يسأل يسوع أن يعلمه الصلاة. في حين يظهر بطرس ليسوع بعض النقاط الفنية في الصيد. فحقاً لديهما الكثير ليتناقشا فيه بعد محاولة بطرس الفاشلة للسير على المياه، وطلبه أن يبني خياماً على جبل التجلي، وتهوره على جبل الزيتون وقطعه لأذن الخادم وإنكاره ليسوع في المحكمة، وزيارته لحديقة القيامة. فلم تكن علاقة بطرس بيسوع علاقة عمل كعلاقة التلميذ بالمعلم، ولكن علاقة الصداقة المتعمقة.

الاهتمام الروحي

تعرفت على صديقين منذ أكثر من عشر سنوات، فقد تشاركنا في الحديث في

أوقات مميزة حين كنا نسعى للاستماع إلى الله في حياة كل منا. فلم أعرف أحداً يقوم بهذه المهمة لي أفضل منهما. وفي حفل زفاف صديق آخر تمشينا في الحديقة وتحدثنا، فأخبرتهما أنني بحاجة إلى صداقتهما لأنهما يهتمان بي كمسئول روحي أكثر من أي شخص آخر، فأعرف الكثيرين باعتباري مسئولاً في مجال أدائي لعملي وتطوره، حيث كنت مسئولاً في مجالات عديدة بسبب علاقاتي ونموي الشخصي، فصديقاي كانا من أصدقائي القليلين الذين يسألون عن نموي الروحي وتطوره.

فقد أخذني واحد منهما مرة جانباً وقال لي: "اسمع، إنني أهتم لأنك أنت مهم بالنسبة لي، لأنك نموذج لحياة إيماني، لهذا لا تفسد الأمر".

لقد كان برنابا بالنسبة لي عندما كان يتحدث لي بأساليب لا يستطيعها غيره، وقد كان بطرس أيضاً بالنسبة لي، فهو شخص أحببته من العمق من خلال محبتنا المشتركة لملكوت الله. أنا لا أعلم إذا كان لديك مثل هؤلاء الأصدقاء الذين يستحقون المخاطرة والتكلفة. كتبت ويندي ميللر "Windy Miller": ***"إن الأصدقاء الروحيين هم أناس يعطون انتباهاً إلى حضور الله وحركته في حياة الشخص وإلى استجابة هذا الشخص لما يفعله الله معه، أو مع الآخرين، أو مع خليقته".***

التعمق معناه أننا سنتعلم أن نعطي اهتماماً لحركة الله في حياتنا. فأعرِّف الحياة الروحية:

"هو تعلُّم أن نعطي انتباهاً لحضور الله في كل ما نفعله". وتقول ميللر: *"آثار القدوس واضحة كل يوم، ولكن معظمنا يفشل في إدراك علاقتنا بالله. لأننا نعتقد أن مثل هذه الاجتماعات تحدث في الكنيسة فقط أكثر من السوبر ماركت، أو في نزهة، أو حينما ننتظر وسائل المواصلات"*.

لقد بدأت هذا الكتاب بالحديث عن السخاء كاستعارة للصداقة وخلق مساحة للآخر حتى يشعر الصديق بالترحاب وبأنه في بيته في حضورك، والتعمق لا يعني خلق مكان للسخاء للمشاركة في حياة شخص آخر وحسب، ولكن للمشاركة مع الله أيضاً: "لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم" (متى ١٨: ٢٠). هذه هي الحياة الروحية لأنها تشتمل على الصداقة مع الله ومع شخص آخر. ثلاثة أشخاص مرتبطون ببعضهم البعض ارتباطاً فريداً ومميزاً، وفي أمثال ٤:١٢ يحدثنا كاتب السفر عن قوة أصدقاء الروح قائلاً: "إذا سرتَ فلا تضيق خطواتك وإذا سعيتَ فلا تعثر".

التعمق

تقدم لنا ويندي ميللر قائمة رائعة من الأسئلة عن الانعكاس الشخصي والانعكاس المشترك مع أصدقاء الروح:

- ما هي اختبارات صلاتي؟
- ماذا يحدث عندما أصلي أو ألهج في الكلمة؟

- ما هي مجالات حياتي التي يلمسها الله؟

- كيف أختبر نعمة الله.

- ما هو الله بالنسبة لي في الكتاب وفي أوقات الصلاة وفي الأوقات الأخرى.

- كيف تعاونت مع الله هذا الأسبوع (الشهر)؟

- ما الذي أضعه بوضوح أمام الله؟ (الغضب، والخوف..).

- أين فقدت نعمة الله أو محبته؟

- ما الذي يجب أن أعترف به؟

- ما الذي يتغير فيَّ وأنا أستمع إلى الله؟

- ما هي الاتجاهات التي أختبرها في علاقاتي مع الآخرين؟

من خلال مثل هذه المحادثات سنخبر الصديق الموثوق به بحكايتنا، ذلك الصديق الذي يرغب في توفير ما أحتاجه في الحياة بترحاب.

ما نوع الشخص الذي يتسم بأنه صديق روح؟:

- شخص يحب أن يُرجع كل شيء في الحياة إلى رحلتنا مع الله.
- شخص قادر على الاستماع الجيد.
- شخص تثق فيه.
- شخص أظهر دليلاً على استحقاقه للثقة.

- شخص لديه روح الدعابة.
- شخص يمكن تعليمه وراغب في التعلم.
- شخص يرغب في سؤال أية أسئلة.
- شخص مهتم بي ككل، من الناحية الروحية والنفسية والجسدية والعقلية.

قمت لأكثر من عشر سنوات بتدريس أحد المناهج بالتعاون مع كيربي ويلكسون "Kirby Wilcoxson" عن الخدمة في المجتمعات الحضرية. بدأنا المنهج عندما عملنا معاً في نفس الكلية. ولدينا الآن مئات كثيرة من الطلبة بسبب المقدمة المُحكمة للخدمة في المجتمعات الحضرية. عندما شعرت بهذا كان المنهج الذي ندرِّسه يقابل صعوبات، ولكننا وجدنا وسيلة للاستمرار في برنامج مشترك في مدرستين.

يبدو أن لنا حياة لها أسلوبها الخاص، وقد تأثرت حياة الطلاب بالأيام التي قضيناها في زيارات لأماكن مختلفة والاستماع إلى مقدمات الكثير من خدام المجتمعات الحضرية. فقد كنا نتقابل عبر السنوات العشر الماضية كل عام لعدة أسابيع في أسوأ أحوال الطقس في شهر يناير، وكان المنهج مكثفاً لذلك كانت المعلومات التي تدرَّس كثيرة. وفي كل عام كنت أصل إلى الدور السادس لمركز المؤتمرات الدولي بحماس وتوقع.

أعتقد أن محتوى المنهج هو السبب وراء شعوري بهذه الإثارة، فقد كان يدرِّس

بطريقة غير تقليدية في الأماكن المحتاجة بعيداً عن المدرجات، فتخلق منهجيته خبرات كثيرة في العديد من المواقع الحضرية. وأعتقد أن حماس العواطف والتعلم هما اللذان حفزانني خلال تلك الأسابيع، لقد كان هذا عاملاً آخر بالفعل. ولكن الأهم من كل هذه الأمور هي الحقيقة البسيطة التي تقول إنني أقضي وقتاً مع شخص يقدِّر اللغة ويحب التفكير بصوت عالٍ ويشرب القهوة ويقود السيارة لأكثر من ستة مئة ميل مرة واحدة حيث يمكننا التحدث كأصدقاء روح. لقد تعلمنا أن نكون أقران بعضنا لبعض في منافذ الملكوت. لأننا تجرأنا أن نكون أقراناً لبعضنا البعض في منافذ أرواحنا. لو كان هذا المنهج قد أُلغي فأعتقد أننا كنا سنتقابل لأسبوعين كل يناير بأية طريقة، حتى نتشارك في صداقتنا. لقد كنا نتنافس معاً بجد في المسابقات الرياضية (وكانت الغلبة له دائماً)، وقد اختلفنا في نقاط سياسية ولاهوتية (كنت غالباً على حق)، وواجهنا مشكلات مع الطلبة، وأزمنة تحوّل وتغير في حياتنا وعبرناها، لا كإخوة في المسيح فقط، ولكن كأصدقاء روح. تعلموا مخاطر الصداقة.

يقول بوشنر:

ربما يكون ما نجوع إليه أكثر من أي شيء آخر هو أن يعرفنا الآخرون بكل ما فينا من ضعف بشري. ولكننا مازلنا نخاف من هذا الأمر أكثر من خوفنا من أي شيء آخر، من المهم أن لا نخفي سر من نحن بالكامل، على الأقل من وقت إلى آخر. وإلا فإننا سنواجه مخاطر الخسارة في التعرُّف على طبيعتنا الحقيقية بسبب

أن هناك قليلين سيقبلون هذه النسخة المعدَّلة التي وضعناها آملين أن يجدها العالم مقبولة أكثر من النسخة الحقيقية.

أسئلة للدراسة

١- عرِّف مصطلح صديق الروح، هل لديك صديق روح في حياتك؟

٢- إلى من تعترف بخطاياك؟

٣- ما الفرق الذي تعتقد أنه سيحدث إذا تقابلت مع صديق، وتحدثت معه عن مسيرتكما الروحية؟

٤- ما الأسئلة التي ستضيفها على قائمة ويندي ميللر؟

٥- كيف كان رد فعلك على كلمات بوشنر؟


الصداقات التي تتعمق
اختلف مفهوم الصداقة في العصر الحاضر -هل الصداقة هي صداقة المصالح الشخصية أو الصداقة المؤقتة التي لا تستمر. وهل الصداقة لها شكل واحد أم لها جوانبها المختلفة. وهل يمكن أن تتغير الصداقات وتتسع أم هي محدودة بأفراد لا يتغيرون طول العمر. هل الصداقة مهمة لحياة الإنسان أم هي شيء عارض يمكن أن يستغنى عنه الإنسان. هل الروابط والعلاقات الإنسانية ضعفت نتيجة لتغير العصر. أم ازدادت الحاجة أكثر لعلاقات عميقة تسد الاحتياج الروحي والعاطفي؟
هذا ما يجيب عليه هذا الكتاب لكاتب قضى عمره يخد
بين الناس وعرف أسباب آلامهم وأسباب فرحهم
١٠١٠٠٢٩٠